

مجلة تعظيم الوحيين

مجلة دورية علمية محكمة، تُعنى بنشر بحوث الدراسات القرآنية والسنة النبوية وما يتعلق بهما

موضوعات العدد:

- الأجوبة الجليلة عن الأسئلة الخفية لعلي بن محمد المصري (ت: ١١٢٧هـ) تقريرا سورة "المتحنته" و "الصف" - دراسة وتحقيق -
د. ياسر بن عبيد الله بن نجم العصلاني
- عناية الرحمن بقلوب أهل الإيمان في القرآن (دراسة موضوعية)
د. بندر بن سليم عيد العزام الشراري
- المنهج الأسمى في بناء السورة القرآنية على آثار أسماء الله الحسنى (سورة البقرة نموذجاً)
د. توفيق علي علي مراد زبادي
- تقنين هدر الغذاء في ضوء الكتاب والسنة (دراسة اقتصادية شرعية)
د. حامد بن مزيد بن حامد الحربي
- حماية الأموال في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية من منظور تنموي
د. أسامة بن عيد الحجيلي
- زهُو الثَمَرِ فِي مُصْطَلَحِ أَهْلِ الْأَثَرِ لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ سَعِيدِ بْنِ السَّيِّدِ أَحْمَدِ الْحَضْرَاوِيِّ رَحِمَهُ اللهُ - دراسة وتحقيقاً -
د. بدوي بن علي بن محمد الكناني الزهراني
- ملحق المجلة لبحوث طلبة الدراسات العليا:
مدلول مصطلح (لا يعرف) وما بنحوه عند الإمام البزار في كتابه (المسند)
بيان بنت عبد الله غنيم الحربي



المملكة العربية السعودية
وقف تعظيم الوحيين - المدينة المنورة
خدمة القرآن الكريم والسنة المطهرة
في بلد الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مَجَلَّةُ تَعْظِيمِ الْوَحْيَيْنِ

مجلة دورية علمية محكمة

تُعنى بنشر بحوث الدراسات القرآنية والسنة النبوية وما يتعلق بهما

العدد السابع عشر - السنة التاسعة - محرم ١٤٤٧هـ - يونيو ٢٠٢٥م

حقوق الطبع محفوظة مجلة تعظيم الوحيين

ترخيص وزارة الثقافة والإعلام - الرياض، المملكة العربية السعودية

برقم: (٨٠٤٤)، وتاريخ: ١٤/٤/١٤٣٦ هـ
رقم الإيداع: ١٤٣٨ / ٩٩٣٩
تاريخ: ١٤٣٨ / ١ / ٢٨
ردمد: X: ٧٧٤ - ١٦٥٨

عناوين المراسلات والاستفسارات

جميع المراسلات تكون باسم رئيس تحرير المجلة:

البريد الإلكتروني للمجلة: mjallah.wqf@gmail.com

مَجَلَّةُ تَعْظِيمِ الْوَحْيَيْنِ، وقف تعظيم الوحيين،

حي الهدا - المدينة المنورة: ص. ب: ٥١٩٩٣، الرمز البريدي: ٤١٥٥٣،
المملكة العربية السعودية.

هاتف المجلة: ٠٠٩٦٦١٤٨٤٩٣٠٠٩

جوال المجلة وواتساب: +٩٦٦ ٥٣٥٥٢٢١٣٠

تويتر: @mjallahwqf

موقع المجلة: WWW.JOURNALTW.COM

بفضل الله وتوفيقه تم اعتماد مجلة تعظيم الوحيين في معامل التأثير والاستشهادات

المرجعية للمجلات العلمية العربية "Arcif" لعام ٢٠٢١ م



المواد العلمية المنشورة في المجلة تُعبّر عن وجهة نظر أصحابها وآرائهم

مَجَلَّةُ تَعْظِيمِ الْوَحْيَيْنِ



**المنهج الأسمى في بناء السورة القرآنية
على آثار أسماء الله الحسنى
سورة البقرة نموذجاً**

د. توفيق علي علي مراد زبادي

الأستاذ المشارك بقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين

بالجامعة الإسلامية بغزة - فلسطين (عن بعد)

tawfikzabady@gmail.com

مَجَلَّةُ تَعْظِيمِ الْوَحْيَيْنِ

ملخص البحث

موضوع البحث:

يتحدث عن السورة القرآنية تُبنى على اسم الله المُكرّر؛ لأن لتوارد أسماء الله الحسنى وصفاته العليا في سورة ما على نحو خاص مزيد عناية بملاحظة وتدبُّر اعتلاق معانيها بالروح المهيمن عليها.

هدف البحث:

بيان كيف تُبنى السورة القرآنية على آثار أسماء الله الحسنى وصفاته العليا؟

أهمية البحث:

- ١ - تعريف الله نفسه لعباده بذكر آثار أسمائه الله الحسنى في السورة القرآنية؛ ليعرفوه حق المعرفة؛ فيعبدوه حق العبادة.
- ٢ - لم اطلع على بحث تناول السورة القرآنية بهذه المنهجية - حسب علمي -.

مشكلة البحث:

سورة البقرة ثرية بآثار اسم الله " العليم " في ثنايا موضوعاتها؛ مما يستدعي دراسة ذلك بمنهجية علمية.

منهج البحث:

جمع الباحث في هذه الدراسة بين المنهج الاستقرائي، والتحليلي: أما المنهج الاستقرائي ففي تتبع الآيات القرآنية في السورة المتعلقة بموضوع البحث، وأما المنهج التحليلي: ففي

تحليل النصوص المستقرأة، والوقوف على المعاني الدقيقة التي تحملها ولها علاقة وثيقة بموضوع البحث.

أهم التوصيات:

- ١ - القيام بدراسات علمية في بيان (بناء السورة القرآنية على آثار أسماء الله الحسنی المقترنة المكررة في السورة) مثل سورة الشعراء.
- ٢ - القيام بدراسات علمية في بيان (بناء السورة القرآنية على أسماء افتتحت بها السورة القرآنية وآثارها على مستوى السورة كلها) مثل سورة غافر، وسورة الجمعة.

الكلمات الدالة (المفتاحية):

بناء - السورة - آثار - أسماء الله.



المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد،

فإن من أعظم مقاصد القرآن تدبر آياته، ﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩]، والذي يكون بإعادة النظر في الآية المرة بعد المرة؛ ليستوضح المتدبر من كل آية ما يليق بها؛ وتكشف له من الأسرار معان مكنونة لا تتكشف إلا للموفقين من أهل الفطر السوية، والعقول المستقيمة، وكل آيات القرآن الكريم مبارك فيها لأنها؛ إما مرشدة إلى خير، وإما صارفة عن شر؛ وذلك سبب الخير في العاجل والآجل؛ ولا بركة أعظم من ذلك.

وكلما ازداد المتدبر تدبراً في آيات القرآن الكريم؛ انكشفت له معان لم تكن بادية له بادئ النظر والتأمل، وإن من أعظم مجالات التدبر تدبر أسمائه وصفاته في نظمها القرآني المعجز؛ لأن فيوض المعاني وآثار هذه الأسماء لا تظهر للمتدبر إلا إذا نظر في مجموع نظم الكلام على مستوى السورة؛ لأن الله جَلَّ جَلَالُهُ تَعَرَّفَ إلى خلقه بأفعاله وأسمائه وصفاته، وما أحدثه في أوليائه وأعدائه، من كرامته وإنعامه على الأولياء، وإهاتته وإشقاته للأعداء، ومن إجابته دعواتهم، وقضائه حوائجهم، وتفريج كرباتهم، وكشف بلائهم، وتصريفهم تحت أقداره كيف يشاء، وتقليبهم في أنواع الخير والشر؛ فكان في ذلك أعظم دليل لهم على أنه ربهم ومليئهم، وأنه الله الذي لا إله إلا هو، وأنه العليم الحكيم، السميع البصير، وأنه الإله الحق وكل ما سواه باطل؛ فتظاهرت أدلة ربوبيته وتوحيده في الأرض، وتنوعت، وقامت من كل جانب؛ فعرفه الموقنون من عباده، وأقروا بتوحيده إيماناً وإذعاناً، وجحدته المخذولون من خليقته، وأشركوا به ظلمًا وكفرانًا؛ فهلك من هلك عن بينةٍ وحيٍّ من حيٍّ عن بينة.

وإن حقيقة الإيمان، أن يعرف العبدُ ربه الذي يؤمن به، ويبدل جهده في معرفة أسمائه وصفاته، حتى يبلغ درجة اليقين، وبحسب معرفته بربه يكون إيمانه، فكلما ازداد معرفة بربه؛ ازداد إيمانه، وكلما نقص نقص، وأقرب طريق يوصله إلى ذلك، تدبر أسمائه وصفاته في القرآن الكريم، والطريق في ذلك، إذا مرَّ به اسم من أسماء الله، أثبت له ذلك المعنى، وكماله، وعمومه، ونزَّهه عما يضاد ذلك، ويعلم علم اليقين أن الخلق والأمر صادر عن أسمائه وصفاته، وهي مقتضية له.

وإن لتوارد أسماء الله الحسنَى وصفاته العليا في سورة ما على نحو خاص مزيد عناية بملاحظة وتدبر اعتلاق معانيها بسياق ومقصود السورة التي فيها؛ فالله - عزَّ وجلَّ - لا يقيم اسماً من أسمائه الحسنَى إلا في سياقه؛ ليدل على ما يترادف من فيوض المعاني على ذلك السياق على مستوى السورة كلها.

والمطلع على ما كُتِبَ من كتب وبحوث تناولت شرح أسماء الله الحسنَى في القرآن الكريم؛ وجد أن الكاتب والباحث اقتصر على أثر الأسماء الحسنَى على مستوى الآية، وأنها تُحْتَمُّ بأسمائه الحسنَى المناسبة لمضمون الآية، وهذا جهد مشكور، وصاحبه مأجور، ومجال من مجالات التدبر ذات نفع كثير.

وإن من تمام تحقق نواحي التدبر لأسماء الله الحسنَى في السورة النظر الكلي لسياقها؛ لأنه هو السبيل لفهم الخيط الناظم لمعانيها، وانكشاف فيضها المدرار؛ لأن الله يُجِلي لعباده في كتابه أثر أسمائه الحسنَى في سياق السورة؛ حتى يشعر المتأمل أن السورة بُنيت عليه، وأقامت على معانيه بنيانها.

وكم يجلب النظر القاصر في أثر أسماء الله على مستوى الآية فقط لصاحبه من جور عن القصد، وكم ينأى به عن أروع أنواع الجمال في النظم.

ولم يتطرق أحد - حسب علمي - على تناول هذا المقصد؛ فعزمت على خوض هذا الغمار مستعيناً بالله، داعياً إياه بالتوفيق والسداد، ومسترشداً بما أشار إليه أئمتنا الأعلام - نَصَرَ الله وجوهمهم - في كتبهم من منشور كلامهم حول هذا الغرض.

الدراسات السابقة:

تكلمت كُتُب وبحوث عن فقه أسماء الله الحسنى وشرح أسرارها، وعن ختم الآيات القرآنية بأسماء الله الحسنى وأسرار وحكَم ذلك، ولم أجد من تناول موضوع بحثي بدراسة مستقلة - حسب علمي واطلاعي.

ونختار من هذه الدراسات ذات الصلة الوثيقة ببحثنا دراستين:

١ - الدراسة الأولى: اقتران الأسماء الحسنى في أواخر الآيات من سورة البقرة (حصرها، معانيها، مناسباتها)، إعداد الدكتور/ سليمان بن قاسم العيد، جامعة الملك سعود، كلية التربية، قسم الثقافة الإسلامية، ١٤٢٠هـ.

حيث ذكر الدكتور منهجه في البحث؛ فقال:

- حصر جميع الآيات التي تحتم باقتران اسمين من الأسماء الحسنى.
- أقسم البحث حسب الأسماء المقترنة، بداية بـ(العليم الحكيم)، وانتهاءً بـ(غني حميد)، وهذا الترتيب وفق ورودها في السورة.
- أسردت تحت كل اقتران جميع الآيات من سورة البقرة التي ختمت بهذا الاقتران.
- أبين معنى كل اسم من الأسماء المقترنة.
- أذكر مناسبة اقتران الاسمين مع بعضهما.

وهذا البحث يتناول فقط الأسماء المقترنة وختمها للآيات، أما بحثي؛ فيتناول الاسم المكرر في السورة وأثاره في ثنايا السورة.

٢ - الدراسة الثانية: بلاغة النظم القرآني في اصطفاء التعبير باسم الله "العليم" في سورة البقرة، إعداد الدكتور/ علي عبد الكريم مبروك إبراهيم، مدرس البلاغة والنقد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، بجامعة الأزهر بالقاهرة، وكانت خطة بحثه كالتالي:

التمهيد وتضمن النقاط التالية:

- أسماء الله الحسنى بين التوقيف والاصطلاح.
- معنى اسم الله العليم.
- اسم الله العليم في القرآن.
- اسم الله العليم في سورة البقرة.

● وكانت مباحث دراسته:

المبحث الأول: التعبير باسم الله العليم في مجال الحديث عن قدرة الله تعالى على الخلق والبعث.

المبحث الثاني: التعبير باسم الله العليم في مجال الحديث عن العقائد.

المبحث الثالث: التعبير باسم الله العليم في مجال الحديث عن العبادات والشعائر.

المبحث الرابع: التعبير باسم الله العليم في مجال الحديث عن الأحكام الشرعية.

المبحث الخامس: التعبير باسم الله العليم في مجال الحديث عن الإنفاق.

ثم الخاتمة وفهرس المصادر والمراجع.

وبين هذا البحث وبحثي نقاط اتفاق في التعريف باسم الله العليم في السورة، ويفترق

عن هذا البحث في أنه يتناول الاسم المكرر في السورة وآثاره في ثنايا موضوعات السورة. ولا شك أنني سأستفيد من الباحثين.

أما خطة بحثي فقد اشتملت على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

أما المقدمة: فقد تحدثت فيها عن هدف البحث، وأهميته، ومشكلة البحث ومنهجه، والدراسات السابقة.

المبحث الأول: مبحث تمهيدي: التعريف بمصطلحات البحث، ومنهجيات البحث في بناء السورة:

— المطلب الأول: التعريف بمصطلحات البحث.

— المطلب الثاني: بناء السماء وبناء السورة القرآنية كلاهما من مشكاة واحدة.

— المطلب الثالث: العلاقة بين مواقع نجوم السماء ونجوم القرآن الكريم.

— المطلب الرابع: صور بناء السورة القرآنية على آثار أسماء الله الحسنى.

المبحث الثاني: منهج البحث في بناء السورة على آثار أسماء الله الحسنى.

الخطوات المنهجية لبناء سورة البقرة على أسماء الله الحسنى

— المطلب الأول: التعريف بسورة البقرة.

— المطلب الثاني: استقراء أسماء الله الحسنى وصفاته العليا في السورة.

— المطلب الثالث: التعريف باسم الله (العليم) ومادته.

— المطلب الرابع: التعرف على المقصد الأساسي في السورة.

المبحث الثالث: مقاصد سورة البقرة الفرعية:

— المطلب الأول: الآيات [١-٢٠] التعريف بالقرآن مصدر العلم وأصناف البشر في التعامل معه.

— المطلب الثاني: المقصد الأول: الآيات [٢١-٢٥]: بيان أركان العقيدة الإسلامية.

— المطلب الثالث: المقصد الثاني: الآيات [٢٦-٣٩]: مظاهر قدرة الله في الخلق القائمة على شمول العلم، وذكر قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وتفضليه بالعلم الآيات.

— المطلب الرابع: المقصد الثالث: الآيات [٤٠-١٧٧]: تحذير علماء الأمة من أن تصرفهم أعراض الدنيا عن اتباع الحق كما حدث من علماء بني إسرائيل.

— المطلب الخامس: المقصد الرابع: الآيات [١٧٨-٢٨٣]: الترغيب والترهيب للامتثال للأحكام المصلحة لأموال الدين والدنيا.

— المطلب السادس: المقصد الخامس [البقرة: ٢٨٤] طمأنة الممثلين لأوامر الله ونواهيته وتحذير المخالفين.

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات.

المصادر والمراجع.



المبحث الأول:

مبحث تمهيدي: التعريف بمصطلحات البحث، ومنهجيات البحث

في بناء السورة:

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات البحث

(١) بناء: (بَنَى) الباء والنون والياء أصل واحد، وهو بناء الشيء بضم بعضه إلى بعض.

تقول بنيت البناء أبنيه^(١).

(٢) السُّورَةُ: المنزلة الرفيعة، وسُورُ المدينة: حائطها المشتمل عليها، وسُورَةُ القرآن تشبيهاً

بها؛ لكونه محاطاً بها إحاطة السور بالمدينة، أو لكونها منزلة كمنازل القمر^(٢).

فكل سورة من القرآن بمنزلة درجة رفيعة ومنزل عال يرتفع القارئ منها إلى درجة

أخرى ومنزل آخر إلى أن يستكمل القرآن^(٣).

واصطلاحاً: قرآن يشتمل على آي، ذي فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات^(٤).

(٣) أثر: أثر الشيء: حصول ما يدلّ على وجوده^(٥).

وآثار أسماء الله الحسنى وصفاته العليا:

الآثار الدالة على وجوده، وتصرفه، واتصافه سبحانه بصفات الكمال المطلق؛ مما يؤدي إلى

عبادته كمال العبودية، وخشيته كمال الخشية.

(١) معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، (١ / ٣٠٢).

(٢) مفردات غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، (ص ٤٣٤).

(٣) الكلبيات، لأيوب بن موسى الحسيني الكفوي، (ص ٤٩٤).

(٤) البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين الزركشي، (ص ٤١).

(٥) مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، (ص ٦٢).

"فلكل اسمٍ من أسمائه عَزَّوَجَلَّ أثرٌ من الآثار في الخلق والأمر، لا بُدَّ من ترتبه عليه، كترتّب المرزوق والرّزق على الرّازق، وترتّب المرحوم وأسباب الرحمة على الراحم، وترتّب المريّيات والمسموعات على السميع البصير"^(١).

(٤) التعريف بمقتضى العبودية:

أولاً: التعريف بالعبودية:

العُبُودِيَّةُ في اللغة: إظهار التذلل، والعبادة أبلغُ منها؛ لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى، ولهذا قال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]^(٢).

والعبادة في الاصطلاح: اسم جامع لكل ما يُجبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة؛ فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبرّ الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان للجار، واليتيم، والمسكين، وابن السبيل، والمملوك من الأدميين والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة^(٣).

ثانياً التعريف بمقتضى العبودية:

لكل صفة من صفات الله؛ عبودية خاصة هي موجبات العلم بها، والتحقق بمعرفتها، وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح^(٤).

فالعبودية تقوم على العلم بالصفة الإلهية والتحقق بها.

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، (١/٢٧٨).

(٢) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، (ص ٥٤٢).

(٣) العبودية، لابن تيمية، (ص ٤٤).

(٤) مفتاح دار السعادة، لابن القيم، (٢/٩٢).

والمقصود بعنوان البحث:

ضم آثار أسماء الله وصفاته بعضها إلى بعض حتى تُصِح كالبناء المحكم؛ لتُحدث تأثيراً في نفس القارئ المتدبر لها بعظمة الله وتوحيده وخشيته، والامثال لأوامره ونواهيه، وإفراده بكمال العبودية.

المطلب الثاني: بناء السماء وبناء السورة القرآنية كلاهما من مشكاة واحدة

امتن الله الرحمن جَلَّ جَلَالُهُ على عباده بتعليمهم القرآن، وصدَّرَ هذه النعمة في بداية ذكر نعمه على عباده في سورة الرحمن؛ فقال: ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ١-٥]، التي عددت نعم الرحمن على عباده، ثم ذكرت السورة نعمة خلق الإنسان، ونعمة تعليمه كيفية التعبير عما في نفسه ليفهمه غيره، ثم ذكرت نعمة خلق الشمس والقمر بحسبان أي بنظام دقيق لا تجد فيه خللاً، وبما يعود على الخلق بالنعف وتحقيق مصالحهم.

وسبحانه لم يفصل في هذا الآيات التي امتن بها على عباده بفواصل بينها، وصدرها بأن هذه النعم من أثر اسمه الرحمن، فكما أن تعليم القرآن من آثار رحمته على عباده؛ لأن به صلاح حياتهم، فكذلك خلق الشمس والقمر بهما صلاح حياتهم، فاتفتت نعمتان تعليم القرآن، وخلق الشمس والقمر على تحقيق مصالح العباد ومنافعهم.

وفي الآيات أيضاً إشارة دقيقة وهي أن من أبدع نظام القرآن فلا تجد فيه خللاً هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الَّذِي أْبَدَعَ خَلْقَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ بَدُونَ خَلَلٍ، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۝٢ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣-٤]، وأن نظامهما المحكم المتقن أثر من آثار رحمته على عباده؛ لذا قرنها باسمه ﴿الرَّحْمَنُ﴾؛ فدلل سبحانه على إحكام نظم القرآن الكريم، بإحكام نظم السماء وما فيها من

كواكب، ولتعلمنا أن النظامين نظام بناء القرآن الكريم، ونظام بناء السماء يخرجان من مشكاة واحدة، ويحكمانها قانون الإحكام والإتقان.

فكما أن السماء بُنيت بنظام محكم؛ فكذلك السورة القرآنية بُنيت على نظام محكم لا تجد فيه خللاً، يزيد مُكْرِر إعادة النظر فيهما العلم بانتفاء التفاوت في نظامهما رسوخاً و يقيناً.

قال الدكتور درّاز - رَحْمَةُ اللَّهِ - : "فيا ليت شعري: إذا كانت كافة الأجزاء والعناصر التي تتألف منها وحدة السور منوطة بأسباب لم تكن كلها واقعة ولا متوقعة، وكان لا بد لتسام هذه الوحدة من وقوع تلك الأسباب كلها في عصر نزول القرآن ليتناولها بيانه، فما الذي أخضع دورة الفلك لنظام هذه الوحدات وجعل هذه النوازل تتوارد بأسرها في إبان التنزيل؟ لماذا لم يتفق في حادثة واحدة منها أن تخلفت عن عالم الوجود يومئذ لينخرم هذا النظام، فتجيء سورة من السور مبتورة في مفتحها، أو في مختتمها، أو فيما بين ذلك؟ أليس مطاوعة تلك الأحداث الكونية ومعاونتها بدقة دائماً لنظام هذه الوحدات البيانية، شاهداً واضحاً على أن هذا القول وذاك الفعل كانا يجيئان من طريق واحدة، وأن الذي صدرت هذه الكلمات عن علمه، هو نفسه الذي صدرت تلك الكائنات عن مشيئته^(١)؟

المطلب الثالث: العلاقة بين مواقع نجوم السماء ونجوم القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾

[الواقعة: ٧٥-٧٧].

عن أبي صالح عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: نزل القرآن إلى سماء الدنيا جملة واحدة، ثم نزل إلى الأرض نجومًا، وفُرِّقَ بعد ذلك خمس آيات، خمس آيات، وأقل وأكثر^(٢).

(١) النبا العظيم، للدكتور درّاز، (ص ١٨٩).
(٢) تفسير القرطبي، (١٧/٢٢٤).

ومن وجوه المناسبة بين ذكر النجوم في القسم وبين المقسم عليه وهو القرآن الكريم:

أحدها: أن النجوم جعلها الله يَهْتَدَى بها في ظلمات البر والبحر، وآيات القرآن يَهْتَدَى بها في ظلمات الجهل والغي؛ فتلك هداية في الظلمات الحسية، وآيات القرآن في الظلمات المعنوية؛ فجمع بين الهدايتين مع ما في النجوم من الرجوم للشياطين، وفي آيات القرآن من رجوم شياطين الإنس والجن.

الوجه الثاني: أن النجوم آياته المشهودة المعاينة، والقرآن آياته المتلوة السمعية، مع ما في مواقعها عند الغروب من العبرة والدلالة على آياته القرآنية، ومواقعها عند النزول^(١).

قال الرازي - رَحِمَهُ اللهُ -: مواقع النجوم ما هي؟ فنقول: فيه وجوه:

- الأول: المشارق والمغارب، أو المغارب وحدها؛ فإن عندها سقوط النجوم.

- الثاني: هي مواضعها في السماء في بروجها ومنازلها.

- الثالث: مواقعها في اتباع الشياطين عند المزاحمة.

- الرابع: مواقعها يوم القيامة حين تنتشر النجوم.

وأما مواقع نجوم القرآن، فهي قلوب عباده، وملائكته، ورسله، وصالحى المؤمنين، أو معانيها وأحكامها التي وردت فيها^(٢).

المطلب الرابع: صور بناء السورة القرآنية على آثار أسماء الله الحسنى

إن المتدبر في القرآن الكريم يلحظ أن لتوارد أسماء الله الحسنى في سورة ما على نحو خاص مزيد عناية بملاحظة وتدبر اعتلاق معانيها بسياق ومقصود السورة التي فيها؛ فالله -

(١) المرجع السابق، (ص ٢٢٠).

(٢) تفسير الرازي، (٤٢٦/٢٩).

عَزَّجَلَّ - لا يقيم اسماً من أسمائه الحسنی إلا في سياقه؛ ليدل على ما يترادف من فيوض المعاني على ذلك السياق؛ فكان فقه معانى أسماء الله الحسنی ومواقعها في الذكر الحكيم بآباً من العلم جدُّ عظيم، ولا يقوم به إلا من كان محتسباً متخلقاً بما يليق به من معاني تلك الأسماء؛ فيكون له من ذلك زاد إلى زاد عِرْفانه العلمي؛ يهديه إلى حسن استبصار الروح المهيمن على السورة^(١).

الصورة الأولى: بناء السورة على اسم من أسماء الله مفرد ومكرر:

المثال الأول: بناء سورة البقرة على اسم الله ﴿الْعَلِيمُ﴾:

من السور ما اختُص بكثرة ذكر اسم من أسماء الله الحسنی على نحو فريد كمثل اسمه العَلَمُ ﴿اللَّهُ﴾ جاء في سورة البقرة مئتين وستة وستين مرة، واسمه الـ﴿رَبِّ﴾ جاء ستة وعشرين مرة، واسمه ﴿الْعَلِيمُ﴾ جاء في سورة (البقرة) إحدى وعشرين مرة، كان مفرداً غير مقترن باسمٍ آخر ثماني مرات. ومثل هذا الاستبصار رافد من روافد فقه الروح المهيمن على بيان السورة، وتكررت مادته (عَلِمَ) في السورة في ستة وسبعين موضعاً؛ مما يُنبئ أن من مقاصد السورة تعريف عباده بعلمه المطلق الذي أحاط بالكليات والجزئيات.

وإذا ما لاحظنا معه أمراً آخر هو اقتران بعض الأسماء مع بعض على نحو فريد في السورة؛ كان ذلك أيضاً معيناً على معرفة معالم المقصود الأعظم، فاسمه الـ﴿وَسِعُ﴾ لم يتكرر في سورة غير البقرة، ولم يقترن في البقرة باسمٍ آخر غير العليم، حيث اقترن به أربع مرات.

المثال الثاني: بناء سورة مريم على اسم الله ﴿الرَّحْمَنُ﴾:

قال ابن عاشور - رَحْمَةُ اللَّهِ - "وقد تكرر في هذه السورة صفة الرحمن ست عشرة مرة، وذكر اسم الرحمة أربع مرات، فأنبأ بأن من مقاصدها تحقيق وصف الله تعالى بصفة الرحمن، والرد على

(١) انظر: العزف على أنوار الذكر، لمحمود توفيق سعد، (ص ١٢٦).

المشركين الذين تقعدوا بإنكار هذا الوصف كما حكى الله تعالى عنهم في قوله في سورة الفرقان: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان: ٦٠] (١).

وسورة مريم ذات ظلال، وأساليها ذات أفنان، يرى المتدبر فيها حضور الرحمة في كثير من مشاهدها وأشخاصها الذين ذكروا فيها: ففيها ظهور رحمة الله في زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ وزوجه برزقهما بيحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ على حين حاجة، ورحمة الله في يحيى بإعطائه ما أعطاه من النعم، ورحمة الله مريمَ باصطفائها ورفع منزلتها وإبعادها عن قومها حتى ولدت، وتسهيل رزقها عند ولادتها، وإظهار براءة ساحتها، ورحمته في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بجعله رسولاً له، والإنعام عليه بنعم عاجلة وآجلة، ورحمته بني إسرائيل بإرسال عيسى إليهم، ورحمته تعالى في بيان توحيد عباده، وإنذارهم بلقائه حتى يستعدوا له، ورحمته إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بجعله صديقاً نبياً، وإنجائه من كيد قومه، ورزقه بإسماعيل وإسحاق ويعقوب - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ -، والإنعام عليه بالذكر الحسن من الأمم، ورحمته موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بتصويره مخلصاً ورسولاً، وتأييده بأخيه هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ، ورحمته هارون بجعله نبياً، ورحمته إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ بجعله صادق الوعد ورسولاً، ورحمته إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ بجعله صديقاً نبياً ورفع مكاناً علياً، ورحمته النبيين ومن تلاهم في الذكر بالاجتباء والرفعة، وظهور رحمته بالتوبة على عباده، وإثابة صالح عباده بالجنة وإنجائهم من النار، وزيادة المهتدين منهم هدى، وجعل المحبة والقبول لهم في قلوب عباده الصالحين. ورحمته عباده بإنزال الوحي الذي يتضمن الخير الكثير لهم، ورحمته خلقه ببعثهم بعد موتهم؛ لينال كل عامل جزاء ما عمل، ورحمته في إمهاله العاصين وحلمه عليهم، ورحمته رسوله محمداً عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بإنزال القرآن عليه، ورحمته صالح عباده بإهلاك المكذبين للرسول عقوبة لهم، وإنجاء المؤمنين، وجعل ذلك عبرة للمعتبرين من بعدهم.

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (١٦ / ٦٠).

والتأمل في السورة يكاد يجد أنها تفصيل وبيان لقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُمِبَهَا

لِلَّذِينَ يَنْقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

الصورة الثانية: بناء السورة القرآنية على اسمين مقترنين مكررين:

سورة الشعراء نموذجًا:

بناء سورة الشعراء على اسمين من أسمائه مقترنين ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ومكررين:

فاسمه (العزیز الرحيم) لم يأت على ذلك النحو كمثل ما جاء في سورة (الشعراء) بل

لم يرد فيها اسمه ﴿الْعَزِيزُ﴾ أو اسمه ﴿الرَّحِيمُ﴾ إلا مقترنين مع تقديم ﴿الْعَزِيزُ﴾ على ﴿الرَّحِيمِ﴾ ، وهذا الاستبصار بهذا الاقتران رافد من روافد فقه الروح المهيمن على بيان السورة.

قال الزمخشري - رَحْمَةُ اللَّهِ - فإن قلت: كيف كرّر في هذه السورة في أول كل قصة وآخرها ما كرّر؟ قلت: كل قصة منها كتزيل برأسه، وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها، فكانت كل واحدة منها تدلى بحق في أن تفتح بما افتتحت به صاحبها، وأن تختتم بما اختتمت به، ولأنّ في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس، وتثبيتاً لها في الصدور. ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا ترديد ما يراد تحفظه منها، وكلما زاد ترديده؛ كان أمكن له في القلب، وأرسخ في الفهم، وأثبت للذكر، وأبعد من النسيان، ولأنّ هذه القصص طرقت بها آذان وقر عن الإنصات للحق، وقلوب غلف عن تدبره، فكوشرت بالوعظ والتذكير، وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح أذنا، أو يفتق ذهنًا، أو يصقل عقلاً طال عهده بالصقل، أو يجلو فهما قد غطى عليه تراكم الصدأ^(١).

(١) تفسير الكشاف، للزمخشري، (٣/ ٣٣٤).

المبحث الثاني:

منهج البحث في بناء السورة على آثار أسماء الله الحسنى وصفاته العليا

لنتناول بناء السورة على آثار أسماء الله الحسنى وصفاته لا بد من اتباع خطوات منهجية علمية؛ ليؤتي العمل ثماره، وتكون الثمار المتوقعة؛ مكافئة للجهد المبذول.

ونذكر فيما يلي هذه الخطوات إجمالاً ثم نفصلها:

أولاً: التقديم للسورة بتمهيد يُعرِّف فيه بأمور تتعلق بالسورة من ذكر سبب النزول، أو المرحلة التي نزلت فيها السورة: مكية متقدمة، أو متوسطة، أو متأخرة، مدنية متقدمة أو متأخرة. وما ورد فيها من أحاديث صحيحة تحدد أسماءها، أو بعض خصائصها أو فضائلها.

ثانياً: استقراء أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وضئرها، والإسناد إليها في السورة، والتأمل في أكثرها وروداً، وذلك بعد قراءة تأملية ومتأنية لآيات السورة كلها.

ثالثاً: التعريف بأسماء الله الحسنى الأكثر وروداً في السورة ومادتها.

رابعاً: استنباط مقتضى العبودية للأسماء والصفات الواردة في سياق السورة؛ لأن لكل اسم وصفة من صفاته سبحانه؛ "عبودية خاصة هي موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها، فعلم العبد بسمعه تعالى وبصره وعلمه وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وأنه يعلم السر وأخفى ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور؛ يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضى الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه؛ فيثمر له ذلك الحياء باطناً، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح" (١).

(١) مفتاح دار السعادة، لابن قيم الجوزية، (٢/ ٩٠).

خامساً: التعرف على الهدف الأساسي في السورة، والمحور الذي تدور حوله، ويكون ذلك من خلال دلالة الاسم، أو الموضوعات المطروحة في السورة، أو أخذاً من المرحلة التي نزلت فيها، أو غير ذلك من طرق الكشف عن المقصد.

سادساً: تقسيم السورة - وبخاصة الطويلة - إلى مقاطع تتحدث آياتها عن عنصر من عناصر المقصد الأساسي، أو مجال من مجالاته، واستنباط الهدايات القرآنية منها.

سابعاً: ربط هذه المقاصد، وما يستنبط من هدايات من كل منها بالمقصد العام للسورة؛ واستنباط الخيط الناظم لها، بقصد إظهار هذه المقاصد وكأنها حبات من عقد اللؤلؤ انتظمت في خيطها؛ فزاد جمالها بانتظامها وتناسقها مع بعضها، أو كأنها جداول صغيرة تمد المجرى الأساسي للنهر أو الشيطان الملتفة حول جذع الدوحة، تقوي أصلها، وتدعم ساقها، وتآزر متنها؛ لتستوي على سوقها، وتعجب الناظرين فيها.

ضوابط في تناول بناء السورة على آثار أسماء الله الحسنى:

١. إذا كان اسم الله الأكثر وروداً هو اسمه العَلَم ﴿الله﴾؛ فينظر فيما يليه من أسماء في الإحصاء؛ لأنه ما كثر وروده إلا لشرح اسم الله العَلَم ﴿الله﴾ وبيانه؛ ليعرفه عباده بهذه الصفة؛ فيعبده حق العبودية.
٢. يُفسَّرُ الاسمُ والصفةُ في سياق السورة؛ لأن كل اسم من الأسماء الحُسنى يُذكَرُ في القرآن مفرداً أو مقترناً بغيره؛ في المكان المناسب للموضوع الذي ورد فيه، ويُفسَّرُ في موضعه^(١).
٣. مراعاة أن الاسم أو الصفة تُذكَرُ دليلاً على ما جاء في السياق من معان؛ لأنه حيث تُحْتَمُ الآيات بالأسماء والصفات التي يقتضيها ذلك المقام؛ حتى كأنها ذُكِرَتْ دليلاً عليه، وموجبة له^(٢).

(١) تفسير القرآن الحكيم، لرشيد رضا، (١٠/١٠٦). بتصرف يسير.
(٢) شفاء العليل، لابن القيم، (ص ٢٠٠)، بتصرف يسير.

٤. التأمل في أن لكل آية شملت اسماً من أسماء الله معنى تنتظم به بما قبلها، ومعنى تتهياً به للانتظام بما بعدها.

٥. لكل صنف من البشر الذين ذكروا في سياق السورة حظ من أسماء الله في السورة، ينبغي على المتدبر استنباطها.

وبعد هذا الإجمال؛ نفضّل في الخطوات المنهجية:

المطلب الأول: التعريف بسورة البقرة

هذه السورة مترامية أطرافها، وأساليبيها ذات أفنان، قد جمعت من وشائج أغراض السور ما كان مصداقاً لتلقيها فسطاط القرآن، وقد حيكت بنسج المناسبات والاعتبارات البلاغية في حُمة محكمة في نظم الكلام، وسد متين من فصاحة الكلمات.

وكان أسلوبها أحسن ما يأتي عليه أسلوب جامع لمحاسن الأساليب الخطابية، وأساليب الكتب التشريعية، وأساليب التذكير والموعظة، يتجدد بمثله نشاط السامعين بتفنن الأفانين^(١).

(١) وقت النزول:

أول سورة نزلت بالمدينة المنورة بعد الهجرة بالاتفاق، وهي أطول سور القرآن على الإطلاق، وهي أول ما نزل في المدينة في السنة الأولى من الهجرة في أواخرها أو في الثانية، واستمر نزولها حتى نهاية العهد المدني، حيث نزل فيها آخر آية على الراجح، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وقد عدت سورة البقرة السابعة والثمانين في ترتيب نزول السور^(٢).

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (١/ ٢٠٣).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (١/ ٢٠١).

(٢) الغرض الأسمى من نزولها في المدينة:

تصفية الجماعة المسلمة من أن تختلط بعناصر مفسدة لما أقام الله لها من الصلاح؛ سعياً لتكوين المدينة الفاضلة النقية من شوائب الدجل والدخل^(١).

(٣) عدد آياتها:

عدد آياتها مائتان وخمس وثمانون آية عند أهل العدد بالمدينة ومكة والشام، وست وثمانون عند أهل العدد بالكوفة، وسبع وثمانون عند أهل العدد بالبصرة^(٢).

(٤) أسماء السورة وألقابها وأوصافها:

أولاً: أسماؤها:

١. البقرة، سميت بهذا الاسم؛ لورود قصة البقرة فيها، حيث قُتل في بني إسرائيل قتيل، فأمرهم الله تعالى على لسان موسى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن يذبحوا بقرة، وبعد كثير من المماطلة والتلكؤ ذبحوها، فأمروا أن يضربوا جسم القتيل ببعض البقرة؛ فأحياه الله تعالى، وأخبر عن قاتله.

٢. الزهراء؛ لتسمية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها كما ورد في الحديث: عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: «اقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَأُوا الزَّهْرَ أَوْ بَيْنَ الْبَقَرَةِ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ...»^(٣)^(٤).

(١) المرجع السابق، (٢٠٢/١).

(٢) انظر: البيان في عد أي القرآن، للداني، (ص ١٤٠).

(٣) البطلنة: أي أصحاب البطالة والكسالة لطولها، وقيل: أي السحرة؛ لأن ما يأتون به باطل، ساهم باسم فعلهم الباطل، أي لا يؤهلون لذلك أو لا يوفقون له، انظر: مرقاة المصابيح في شرح مشكاة المصابيح، (٤/١٤٦١).

(٤) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، رقم (٨٠٤، ٨٠٥)، بيت الأفكار الدولية، الرياض، د. ط، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

ثانياً: ألقاب السورة وأوصافها:

١ - سنام القرآن؛ لتسمية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها كما ورد في الحديث:

عن ابن مسعود، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامًا، وَسَنَامُ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقْرَةِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ سُورَةَ الْبَقْرَةِ تَقْرَأُ خَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقْرَةِ»^(١).

وروى أحمد بسنده عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ذُرْوَةُ سَنَامِ الْإِسْلَامِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٢).

٢ - فسطاط القرآن:

كان يسميها خالد بن معدان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - (ت: ١٠٣ هـ) بالفسطاط؛ وذلك لعظمتها، ولما جمع فيها من الأحكام التي لم تُذكر في غيرها^(٣).

وقال المناوي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : "أي مدينته الجامعة؛ لاشتغالها على أمهات الأحكام، ومعظم أصول الدين وفروعه، والإرشاد إلى كثير من مصالح العباد، ونظام المعاش، ونجاة المعاد"^(٤).

(٥) فضل سورة البقرة وآيات منها:

عن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سمعت رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: «يُؤْتَى

(١) المستدرک علی الصحیحین، للحاکم، کتاب فضائل القرآن، (١/ ٥٦١)، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ إِسْنَادًا، وَلَمْ يُجْرَجْ جَاهًا"،

وقال الذهبي: "صحيح"، وذكره الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، (٢/ ١٣٥)، حديث

رقم (٥٨٨)، مكتبة المعارف، الرياض، د. ط، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث معاذ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون: (٣٦/ ٣٧٥)، (٢٢٠٥١)، قال محققو

المسند: "صحيح بطرقه وشواهده".

(٣) الإتيان في علوم القرآن، للسيوطي، (١/ ١١٩).

(٤) فيض القدير، للمناوي، (٤/ ١٤٩).

بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِيهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَأَلْ عِمْرَانَ وَصَرَبَ لُهُمَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثَلَاثَةَ أَشْخَالٍ مَا نَسِيْتُهُنَّ بَعْدُ قَالَ كَانَتْهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ أَوْ كَانَتْهُمَا حِرْزَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ تُحَاجَّانِ عَنِ صَاحِبَيْهِمَا»^(١).

والغيايتان والغمامتان: كل ما أظل الإنسان من فوق رأسه من سحابة وغبرة وغيرهما،

والمراد أن ثوابهما يأتي كغمامتين^(٢).

وعن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ: قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ قُلْتُ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ قَالَ فَصَرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»^(٣).

وعن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: «بَيْنَمَا جَبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتُح الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَقَالَ هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزَلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ فَسَلَّمَ وَقَالَ أَبَشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيَتْهُمَا لَمْ يُؤْتِيَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ»^(٤).

وعن أبي مسعود البدرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَّتَاهُ»^(٥).

وعن أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ،

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، (رقم ٨٠٤، ٨٠٥).

(٢) شرح صحيح مسلم، للنووي، (٩٠/٦)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م.

(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، رقم (٨١٠).

(٤) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، رقم (٨٠٦).

(٥) الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب المغازي رقم (٤٠٠٨)؛ وكتاب فضائل القرآن رقم (٥٠٠٨، ٥٠٤٠، ٥٠٥١)؛ بيت

الأفكار الدولية، الرياض، د. ط، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»^(١).

وروى كثير بن عباس عن أبيه أن الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال له عندما ولى المسلمون يوم حنين: «يا عباس! ناد قل: يا أصحاب السمرة، يا أصحاب سُورَةِ الْبَقَرَةِ»^(٢).

وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ حِصَصُ الْبَقَرَةِ بِالذِّكْرِ حِينَ فِرَارِهِمْ؛ لِأَنَّ فِيهَا: ﴿كَمْ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٩] وفيها: ﴿فَهَكَرَ مُؤْمَهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥١]، أَوْ لِأَنَّ فِيهَا: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] وفيها: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَسْرِى نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ٢٠٧]^(٣).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَعْثًا وَهُمْ نَفَرٌ، فَدَعَاهُمْ، فَقَالَ: «مَا مَعَكُمْ مِنَ الْقُرْآنِ؟» فَاسْتَقْرَأَهُمْ حَتَّى مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ هُوَ مِنْ أَحَدِنِهِمْ سِنًا، فَقَالَ: «مَاذَا مَعَكَ يَا فَلَانُ؟» قَالَ: «مَعِيَ كَذَا وَكَذَا، وَسُورَةُ الْبَقَرَةِ، قَالَ: «وَمَعَكَ سُورَةُ الْبَقَرَةِ؟» قَالَ: «نَعَمْ. قَالَ: «اذْهَبْ فَأَنْتَ أَمِيرُهُمْ»»^(٤).

مناسبتها لما قبلها:

لما قال العبد بتوفيق ربه: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]؛ قيل له: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]، هو مطلوبك وفيه أربك، وهو الصراط المستقيم ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] القائلين: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، والخائفين من حال الفريقين المغضوب عليهم ولا الضالين؛ فاتخذوا وقاية من العذاب: خوف ربهم، وتقواه بامتثال أمره ونهيهِ، ثم أشير من الأعمال إلى ما يستحق سائرهما من قبلي البدنيات والماليات بياناً للصراط المستقيم؛ فقيل في وصف المتقين أنهم: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُؤْتُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]، وحصل من هذا حصر الفعل والترك

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، رقم (٧٨٠).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، حديث رقم (١٧٧٥).

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين: (١/٢٧٧).

(٤) أخرجه الترمذي في ثواب القرآن، (٢٧٨٩) باب: ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي، وابن ماجه - مختصراً - في المقدمة (٢١٧) باب: فضل من تعلم القرآن وعلمه، من طريق أبي أسامة، وأخرجه النسائي في السير - ذكره المزي في تحفة الأشراف، (١٠/٢٨٠) برقم (١٤٢٤٢) - من طريق عبد الله بن عبد الصمد، عن إسحاق بن عبد الواحد، عن المعافى بن عمران. كلاهما عن عبد الحميد بن جعفر، بهذا الإسناد. وقال الترمذي: "هذا حديث حسن".

الضابطين لجميع الأعمال كيف ما تشعبت"^(١).

مناسبة افتتاحها لخاتمها:

وافق آخرها أولها من ذكر أوصاف المؤمنين، ثم الإشارة إلى وصف الكافرين^(٢).

المطلب الثاني: استقراء أسماء الله الحسنى وصفاته العليا في السورة والتأمل في أكثر الأسماء وروداً

جاء اسم الله العَلَمُ ﴿الله﴾ في سورة البقرة مئتين وستة وستين مرة، واسمه ﴿رَبِّ﴾ جاء ستة وعشرين مرة، واسمه ﴿الْعَلِيمُ﴾ جاء في سورة (البقرة) إحدى وعشرين مرة، كان مفرداً غير مقترن باسم آخر ثمانين مرة، وجاءت مادة (عَلِمَ) ومشتقاتها في ستة وسبعين موضعاً في السورة، وهذا أثر من آثار اسم الله العليم.

وإذا ما لاحظنا معه أمراً آخر هو اقتران بعض الأسماء مع بعض على نحو فريد في السورة كان ذلك أيضاً معيناً على معرفة معالم المقصود الأعظم، فاسمه ﴿وَأَسْعُ﴾ لم يتكرر في سورة غير البقرة، ولم يقترن في البقرة باسم آخر غير العليم، حيث اقترن به أربع مرات؛ مما يُنبئنا بأن من مقاصد السورة بيان آثار علم الله في السورة، وتعريف العباد بعلمه المطلق؛ ليحسنوا في عبادته، ومثل هذا الاستبصار رافد من روافد فقه الروح المهيمن على بيان السورة.

المطلب الثالث: التعريف باسم الله (العليم) ومادته

العليم: قال الخطابي - رَحِمَهُ اللهُ -: العليم هو العالم بالسرائر والخفيات، التي لا يدركها

علم الخلق، وجاء على بناء فاعيل للمبالغة في وصفه بكمال العلم^(٣).

(١) البرهان في تناسب سور القرآن، للغرناطي، (ص ١٩٠).

(٢) مراصد المطالع والمقاطع، للسيوطي، (ص ٤٨).

(٣) شأن الدعاء، للخطاب، (ص ٥٧).

وَالْعَلِيمَ وَالْعَالِمَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَفَعِيلٌ وَفَاعِلٌ يَشْتَرِكَانِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الصِّفَاتِ، لَكِنَّ الْعَلِيمَ فِيهِ صِفَةٌ زَائِدَةٌ عَلَى مَا فِي الْعَالِمِ؛ فَعَلِيمٌ فِي اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى يُفِيدُ الْعِلْمَ بِالْغَيْبِ^(١).

وقال صاحب اللسان - رَحِمَهُ اللَّهُ - : "هو : الله العالم بما كان، وما يكون قبل كونه، وبما يكون ولما يكن بعد قبل أن يكون، لم يزل عالمًا ولا يزال عالمًا بما كان وما يكون ولا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، أحاط علمه بجميع الأشياء باطنها وظاهرها، دقيقها وجليلها على أتم الإمكان"^(٢).

والعليم في حق الله عَزَّوَجَلَّ: الذي سلم علمه أن يعزب عنه مثقال ذرة، أو يغيب عنه معلوم من المعلومات^(٣).

قال ابن القيم - رَحِمَهُ اللَّهُ - في نونيته:

وهو العليم بما يوسوس عبده	في نفسه من غير نطق لسان
بل يستوي في علمه الداني مع	القاصي وذو الأسرار والإعلان
وهو العليم بما يكون غدا	وما قد كان والمعلوم في ذا الآن
وبكل شيء لم يكن لو كان كيـ	ف يكون موجودا لدى الأعيان

والعلم في اللغة: "إدراك الشيء بحقيقته"^(٤).

والعلم في الاصطلاح:

العلم: أصالة الفهم^(٥)، وهي الملكة التي تتربى لدى العلماء، والتي يستطيعون بها

(١) أسماء الله الحسنى، للزجاج، (ص ٤٠).

(٢) لسان العرب، لابن منظور، (٤/٣٠٨٢ - ٣٠٨٣).

(٣) أحكام أهل الذمة، لابن القيم، (١/٤١٤).

(٤) مفردات غريب القرآن، للأصفهاني، "علم"، (ص ٥٨٠).

(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (١٧/١١٥).

استنباط المسائل والتائج.

وأول تكريم للعلم أنه صفة الله، وكفى بالعلم شرفاً أنه صفة من صفات الله تعالى؛ ولذلك اشتق منه أسماءه الحسنی مثل (العليم - العالم - العَلام) وأسندته إلى ذاته العظمى بأساليب شتى، وطرائق عدداً.

من هذه الأساليب :

- بين سبحانه أنه يعلم ما فيه مصالح العباد ما يخفى على الملائكة، قال تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، أي أعلم من المصالح في ذلك ما هو خفى عليكم، فإن قلت: هلا بين لهم تلك المصالح؟

قلت: كفى العباد أن يعلموا أن أفعال الله كلها حسنة وحكمة، وإن خفى عليهم وجه الحسن والحكمة^(١).

فأثبت لذاته العلم بحكمة هذه الخلافة ونفاه عنهم، ثم أظهر لهم أن الإنسان يكون خليفة بالعلم وما يتبعه^(٢).

- وقول الملائكة في وصفه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

وجاء العلم في سورة البقرة على قسمين:

- ١- العلم المطلق: وهو علم الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
- ٢- العلم المحدود: وهو علم البشر، الذي تعلمه بتعليم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له.

(١) تفسير الزمخشري، (١/ ١٢٥).
(٢) تفسير المنار، لرشيد رضا، (١/ ٢٢٠).

العلم المطلق للخالق سبحانه:

علم الخالق علم مطلق محيط بكل شيء، وهذا ما قرّره القرآن في السورة، كقوله تعالى:

﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

[البقرة: ٢٣١]، وقوله: ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَلَّوْا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا

اللَّهُ وَيَعْلَمْكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]؛ فتقرر من ذلك أن الله عالم بالكيليات

والجزئيات.

وقرن سبحانه بين اسمين كريمين من أسماؤه الحسنى هما الواسع والعليم وجاءت في

أربعة مواضع.

والواسع:

الواسع الصفات، والنعوت ومتعلقاتها؛ بحيث لا يحصى أحد ثناء عليه، بل هو كما

أثنى على نفسه، واسع العظمة، والسلطان، والملك، واسع الفضل، والإحسان عظيم الجود

والكرم^(١).

فالواسع المطلق هو الله سُبحانه وتعالى؛ لأنه إن نظر إلى علمه؛ فلا ساحل لبحر معلوماته،

بل تنفذ البحار لو كانت مداً للكلماته، وإن نظر إلى إحسانه ونعمه؛ فلا نهاية لمقدوراته، وكل

سعة وإن عظمت فتنتهي إلى طرف، والذي لا ينتهي إلى طرف فهو أحق باسم السعة^(٢).

ومن أمثلة الاقتران بين الاسمين العظيمين، قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ

اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، "ختم

الآية باسمين من أسماؤه الحسنى مطابقين لسياقها وهما الواسع والعليم؛ فلا يستبعد العبد

(١) تفسير أسماء الله الحسنى، للسعدي، (ص ٢٤٢).

(٢) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، للغزالي، (ص ١١٩).

هذه المضاعفة ولا يضيق عنها عطنه^(١)، فإن المضاعف واسع العطاء واسع الغنى واسع الفضل ومع ذلك؛ فلا يظن أن سعة عطائه تقتضي حصولها لكل منفق؛ فإنه عليم بمن تصلح له هذه المضاعفة وهو أهل لها، ومن لا يستحقها ولا هو أهل لها، فإن كرمه وفضله لا يناقض حكمته بل يضع فضله مواضعه لسعته ورحمته ويمنعه من ليس من أهله بحكمته وعلمه^(٢).

المطلب الرابع: التعرف على المقصد الأساسي في السورة

تحدث جمع من العلماء الأجلاء عن المقصد الأساسي لسورة البقرة نختر منها:

قول شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحْمَةُ اللَّهِ - حول مقصدها الأساسي؛ فقال: "أَشْتَمَلْتُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ عَلَى: "تَقْرِيرِ أَصُولِ الْعِلْمِ، وَقَوَاعِدِ الدِّينِ" (٣).

وقال البقاعي - رَحْمَةُ اللَّهِ -: "مقصودها إقامة الدليل على أن الكتاب هدى؛ ليتبع في كل ما قال" (٤).

والمقصدان اللذان قررهما الإمامان (ابن تيمية - البقاعي) نتيجة النظر الكلي في النظم الكلي للسورة يدلان على بناء السورة على آثار اسم الله العليم؛ الذي كثر تكراره في السورة. حيث ورد في السورة من آثار اسم الله العليم أصول العلم كم قرر ذلك ابن تيمية - رَحْمَةُ اللَّهِ - والذي منه: الكتاب الهادي الذي شمل على العلم اليقيني، والرسول المَعْلَم، والمنهج (الهدي الرباني)، والأساليب التعليمية (الأمثال - القصص - الترهيب والترغيب - الموعدة - المدح والثناء للمستجيبين لهدايات القرآن، والذم لكل من خالف ما جاء في الكتاب الهادي - الثواب لكل مستجيب - العقاب لكل من خالف وعاند وحسد).

(١) فلان ضيق العطن: أي قليل الصبر والحيلة عند الشدائد، بخيل.

(٢) طريق الهجرتين، لابن القيم، (ص ٣٦٤).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (٤١ / ١٤).

(٤) نظم الدرر، للبقاعي، (١ / ٥٥).

وبرزت آثار اسم الله العليم على الخلفاء كتعليم آدم الأسماء كلها، والأئمة كتعليم إبراهيم - عَلَيْهِ السَّلَامُ - الحجة، وعين اليقين، والملوك كطالوت - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، وداود - عَلَيْهِ السَّلَامُ . وعلى العلماء الذين حَرَّضُوا المجاهدين مع طالوت على الشجاعة والعزيمة في القتال؛ فاتصروا بتأييد الله لهم.

وظهرت آثار اسم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْعَلِيمِ على فضح علماء أهل الكتاب، ومن سار على طريقتهم الذين خالفوا بأفعالهم أقوالهم، وكتموا ما أنزل الله في حق رسولنا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي حق القبلة وغيرها.

وظهرت على الأحكام الشرعية التي بُنِيَتْ على علم الله المطلق؛ والتي ينتفع بها المتقون، ويفهم مرادها أولو الأبواب.



المبحث الثالث

مقاصد سورة البقرة

هذه السورة على طولها تتألف وحدثها من: مطالب، وأربعة مقاصد، وخاتمة، على هذا الترتيب:

المطلب الأول: التعريف بالقرآن مصدر العلم وأصناف البشرية في التعامل معه الآيات (٢٠-١)

جاء في المقدمة التعريف بشأن هذا القرآن الهادي لكل خير، وبيان أن ما فيه من الهداية قد بلغ حدًا من الوضوح لا يتردد فيه ذو قلب سليم؛ وإنما يعرض عنه من لا قلب له، أو من كان في قلبه مرض.

ومن آثار اسم الله جَلَّ جَلَالُهُ العليم في آيات مقدمة السورة:

- ١- إنزال الله جَلَّ جَلَالُهُ الكتاب الذي هو مصدر العلم، والهادي لكل خير.
- ٢- أن المتقين لما سلمت فطرتهم؛ أصابت عقولهم ضرباً من الرشاد، ووجد في أنفسهم شيء من الاستعداد لتلقي نور الحق يحملهم على توقي سخط الله جَلَّ جَلَالُهُ، والسعي في مرضاته بحسب ما وصل إليه علمهم، وأداهم إليه نظرهم واجتهادهم، ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].
- ٣- لما عَلِمَ المتقون أن الله العليم جَلَّ جَلَالُهُ هو العالم بالسرائر والخفيات؛ أيقنوا بما أخبر من الغيب؛ فأصابوا الفلاح الدنيوي والأخروي، ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣].

حض المتقين من اسم الله جَلَّ جَلَالُهُ العليم كما ورد في المقدمة:

- ١- أن المتقي إذا أُرشِدَ إلى غيب لا يعلمه؛ امتثل له؛ فزاده إيماناً.

٢- أن المتقي لما أيقن بالخلف في الإنفاق، ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: ٣٩]، وهو من الغيب؛ جاد بالعطية.

وحض الكافرين والمنافقين في الآيات:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩].

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩].

يقول الله جَلَّ جَلَالُهُ أنه عليم بكم أيها المنافقون والملحدون الكافرون به من أهل الكتاب، ويعلم ما تُبدون وما تكتُمون في أنفسكم، وإن أبدى منافقوكم بألستهم قولهم: آمنا بالله وبالיום الآخر، وهم على التكذيب به منطوون، وكذَّبت أحباركم بما أتاهم به رسولي من الهدى والنور، وهم بصحته عارفون. ووجدوه، وكتموا ما قد أخذت عليهم - بيانه خلقي من أمر محمد ونبوته - المواثيق وهم به عالمون. بل أنا عالم بذلك من أمركم، وغيره من أموركم، وأمور غيركم، ومحاسبكم عليه^(١).

ففي الآيات تهديد للمنافقين والكافرين؛ لينزجروا عما هم عليه.

● **المطلب الثاني: المقصد الأول: بيان أركان العقيدة الإسلامية الآيات:**

(٢١- ٢٥)

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما ذكر الله جَلَّ جَلَالُهُ أنواع الناس من متقين، وكافرين، ومنافقين، وموقفهم من الكتاب الهادي، وبين للمتقين ما لهم من الكرامة، وبين لبقية الأصناف ما لهم من الشقاوة مع تمام القدرة شمول العلم المستلزمان للوحدانية؛ ناداهم جميعاً داعياً إياهم إلى إفراده بالعبادة.

(١) تفسير الطبري، ت: شاکر، (١/٤٣٨).

في هذه الآيات الخمس نسمع نداءً قويًا موجهًا إلى العالم كله بثلاثة مطالب:

١ - أن لا تعبدوا إلا الله ولا تشرکوا به شيئًا.

٢ - أن آمنوا بكتابه الذي نزل على عبده.

٣ - أن اتقوا أليم عذابه، وابتغوا جزيل ثوابه.

هذا المطالب الثلاثة هي الأركان الثلاثة للعقيدة الإسلامية^(١).

ومن آثار اسم الله جلَّ جلاله العليم في الآيات:

١ - قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ

الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ

تَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ٢١-٢٢﴾.

المخاطب بالأمر بالعبادة المشركون من العرب والدهريون منهم، وأهل الكتاب، والمؤمنون

كل بما عليه من واجب العبادة من إثبات الخالق، ومن توحيد، ومن الإيمان بالرسول،

والإسلام للدين، والامتثال لما شرعه إلى ما وراء ذلك كله حتى منتهى العبادة ولو بالدوام

والمواظبة بالنسبة إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين معه^(٢).

وتأمل قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿البقرة: ٢٢﴾.

تأمل هذا الأسلوب التربوي الفريد من الله جلَّ جلاله العليم المربي لعباده، العالم بما به يثير

همتهم، ويلفت مداركهم: أثبت لهم علمًا ورجاحة الرأي؛ ليثير همتهم، ويلفت بصائرهم إلى

دلائل الوحدانية، ونهاهم عن اتخاذ الآلهة، أو نفى ذلك مع تلبسهم به، وجعله لا يجتمع مع

العلم؛ توبيخًا لهم على ما أهملوا من مواهب عقولهم، وأضاعوا من سلامة مداركهم.

(١) النبأ العظيم، لدرّاز، (ص ٢٠٨).

(٢) المرجع السابق، (١/٣٢٦).

وهذا منزع تهديبي عظيم، أن يعمد المري؛ فيجمع لمن يريه بين ما يدل على بقية كمال فيه؛ حتى لا يقتل همته باليأس من كماله؛ فإنه إذا ساءت ظنونه في نفسه؛ خارت عزيمته، وذهبت مواهبه، ويأتي بما يدل على نقائص فيه؛ ليطلب الكمال؛ فلا يستريح من الكد في طلب العلا والكمال^(١).

وهذا الأسلوب حقيق أن يتعلمه التربيون، والدعاة إلى الله جلَّ جلاله.

وأيضاً قوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أبلغ في النهي؛ لأن صدور ذلك من العالم أشد^(٢).

٢- وتأمل كيف استدعى عقولهم؛ للتفكر في مصدر الرزق الروحي، ومصدر الرزق البدني؛ ليعبدوه؛ حيث ذكر الله جلَّ جلاله إنزال الماء من السماء ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ والذي به وبأثره حياة الأبدان، وإنزال الوحي من السماء ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ الذي به حياة الأرواح، ومصدر الإنزالين هو الله عزَّ وجلَّ ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]؛ فتأمل كيف اتسقت آية تنزيل الوحي بآية إنزال الرزق؛ لأنهما رزقان: أحدهما ظاهر يعم الكافر في نزوله، والآخر وهو الوحي رزق باطن يخص الخاصة بنزوله.

٣- وتأمل لما ذَكَرَ اللهُ جلَّ جلاله العليم جزاء الكافرين: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾؛ ذَكَرَ جزاء المؤمنين ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾؛ ليجمع بين الترغيب والترهيب؛ ليكون العبد راغباً راهباً، خائفاً راجياً.

- وفيه تعليم لعباده الذين يتصدرون لتعليم الناس أن يقتدوا به في تعليمه لعباده.
- وفيه استحباب بشارة المؤمنين، وتنشيطهم على الأعمال بذكر جزائها وثمراتها؛ فإنها بذلك تخف وتسهل.

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (١/ ٣٣٥).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١/ ٤٧٢).

المطلب الثالث: المقصد الثاني: مظاهر قدرة الله في الخلق القائمة على شمول

العلم وذكر قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وتفضليه بالعلم الآيات: [٢٦- ٣٩]

في هذا المقصد بيان لحكمة الله في ضرب الأمثال، وتحذيراً لغير المؤمنين من عاقبة الاستدراج بها، وتطميناً للمؤمنين أن ستزيدهم إيماناً؛ إذا عقلوها، ثم توجه إلى الناس باستنكار كفرهم بالله المحيي المميت الخالق الرازق المدبر العليم، وأن كفرهم بالله في مواجهة الدلائل والآلاء؛ كفر قبيح بشع، مجرد من كل حجة أو سند، ثم ذكر الله أنه خلق الإنسان لأمر عظيم؛ خلقه ليكون مستخلفاً في الأرض، مالكا لما فيها، فاعلاً مؤثراً فيها، ثم ذكر الخليفة الأول آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ثم وصف الجنة والنار بما لهما من وصف رائع أو مروع، ويكتفي عن وصفهما بذكر اسمهما، وتعيين أهلها؛ ناظماً وضع الأجزية مع وضع التكاليف في سلك واحد.

وختم الكلام بشأن المخالفين؛ تمهيداً للانتقال مرة إلى نداء فريق منهم، ودعوتهم إلى الإسلام.

أولاً: حض المذكورين في الآيات من اسم الله العليم:

(١) حض المؤمنين من اسم الله العليم في الآيات:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦].

عبر الله جَلَّ جَلَالُهُ العليم في جانب المؤمنين ب﴿فَيَعْلَمُونَ﴾؛ للثناء عليهم؛ لأنهم فهموا مراد الله من الأمثال، والثناء عليهم بثبات إيمانهم، وتأيس الذين أرادوا إلقاء الشك عليهم؛

فيعلمون أن قلوبهم لا مدخل فيها لذلك الشك^(١).

(٢) حض الكافرين من اسم الله العليم في الآيات:

في الآيات تعريض بأن الكافرين؛ إنما قالوا ما قالوا عناداً ومكابرة، وأنهم يعلمون أن ذلك تمثيل أصاب المحز - تكلم فأقنع -، ولكن شأن المعاند المكابر أن يقول ما لا يعتقد حسداً وعناداً^(٢).

(٣) قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ

وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩].

قوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

(١) حض المؤمنين من اسمه العليم:

لما ذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى دلائل القدرة؛ ختم الآية باسمه العليم؛ ليعرّف عباده أن القدرة لا تصدر إلا من عليم؛ فيزداد المؤمنون إيماناً بقدرة الله وعلمه.

(٢) حض الكافرين من اسم الله العليم:

"تعريض بالإنكار على كفرهم والتعجيب منه؛ فإن العليم بكل شيء؛ يُقْبِحُ الكفر به"^(٣).

ففي الآيات تشنيع على الكافرين.

ثانياً: قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ

مناسبة قصة آدم لما قبلها:

وفي ختم الآية السابقة باسمه "العَلِيم"؛ تمهيد لذكر قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وتفضيله على

(١) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (١/٣٦٤).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (١/٣٦٤).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (١/٣٨٦).

الملائكة بالعلم، وهي إجابة لسؤال مفاده وهل يوجد نموذج استفاد من علم الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى تُعَرَّفْنَا بِهِ؟؛ فجاءت الإجابة بذكر قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقال البقاعي - رَحِمَهُ اللهُ - لما ذكر خلق السموات والأرض؛ "أتبعها قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ دليلاً ظاهراً، ومثالاً بيناً لخلاصة ما أريد بهذه الجمل؛ مما نبه عليه بالعاطف من أن النوع الآدمي هو المقصود بالذات من هذا الوجود"^(١).

مقصد قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

بيان مزية العلم وفضله، وأنه العُمْدَةُ في الخلافة، وشرط من شروطها.

هذه الآيات [٣٠ - ٣٨] تبين الاستخلاف الأول في الأرض لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أبو البشر، ومن ثم فإن الأمة المحمدية وارثة لميراث آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ في حمل أمانة الدين والخلافة في الأرض بما ينفع الخلق ديناً ودنياً، ويتبين ذلك من خطاب الله عزَّجَلَّ للنبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي يُشعر بأحقيته، وأحقية أمته في وراثته هذه الخلافة العُظمى، وهذا التَّكريم؛ كأنه تسليم له ولأُمَّته لهذه الخِلافة.

١ - قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّي جَاعِلٌ فِي الْاَرْضِ خَلِيْفَةً قَالُوْٓا۟ اَنْجَعِلْ فِيْهَا مَنْ يُّفْسِدُ فِيْهَا

وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ سٰٓبِحٌ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ اِنِّيۤ اَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ﴿ [البقرة: ٣٠].

قوله تعالى: ﴿قَالَ اِنِّيۤ اَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ﴿ [البقرة: ٣٠]

تعرَّفَ اللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى لملائكته بعلمه؛ فقال: أعلم أن صلاح آدم؛ يحصل منه المقصد من تعمير الأرض، وأن فساده لا يأتي على المقصد بالإبطال، وأن في ذلك كله مصالح عظيمة، ومظاهر لتفاوت البشر في المراتب، واطلاعاً على نموذج من غايات علم الله تعالى، وإرادته،

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (١ / ٢٢٨).

وقدرته؛ بما يظهره البشر من مبالغ نتائج العقول والعلوم، والصنائع، والفضائل، والشرائع وغير ذلك^(١).

وحض المؤمنين من ذلك:

أن يعرفوا أن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حين أراد أن يجعل آدم خليفة؛ كانت إرادته عن علم بأنه أهل للخلافة؛ فيحرصوا على العلم، ويختاروا الخلفاء والأمرء والحكام من أهل العلم في تدبير شؤون سياسة الناس.

٢- قوله تعالى: ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٢].

"خبر من الله جل ذكره عن ملائكته، بالأوبة إليه، وتسليم علم ما لم يعلموه له، وتبرئهم من أن يعلموا أو يعلم أحد شيئاً إلا ما علّمه تعالى ذكره"^(٢).

وحض المؤمنين من ذلك:

أن يعلم المؤمنون أنه لا سبيل إلى علم شيء من الأشياء إلا بتعليم الله عزَّجَلَّ.

٣- قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤]

قوله تعالى ﴿ فَسَجَدُوا ﴾ [البقرة: ٣٤]: فيه: فضيلة العلم، وأن العالم حقيق بتعظيم من خولّه إياه، وأن العلم شرط الخلافة.

وحض المؤمنين من ذلك:

تعظيم وتوقير أهل العلم الذين يفهمون عن الله مراده.

بيان فضل العلم في قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١/٤٠٧).

(٢) تفسير الطبري، (١/٤٩٣).

أولاً: أنه سبحانه رد على الملائكة؛ لما سأله كيف يجعل في الأرض من هم أطوع له منهم: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، فأجاب سؤالهم بأنه يعلم من بواطن الأمور وحقائقها ما لا يعلمونه وهو العليم الحكيم؛ فظهر من هذا الخليفة من خيار خلقه ورسله وأنبيائه وصالحى عباده والشهداء والصديقين والعلماء وطبقات أهل العلم والإيمان من هو خير من الملائكة، وظهر من إبليس من هو شر العالمين؛ فأخرج سبحانه هذا وهذا، والملائكة لم يكن لها علم لا بهذا ولا بهذا، ولا بما في خلق آدم وإسكانه الأرض من الحكم الباهرة.

ثانياً: أنه سبحانه لما أراد إظهار تفضيل آدم وتمييزه وفضله؛ ميزه عليهم بالعلم؛ فعلمه الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة؛ فقال ﴿أُنَبِّئُوكُمْ بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١]، جاء في التفسير أنهم قالوا لن يخلق ربنا خلقاً هو أكرم عليه منا؛ فظنوا أنهم خير وأفضل من الخليفة الذي يجعله الله في الأرض، فلما امتحنهم بعلم ما علمه لهذا الخليفة؛ أقروا بالعجز وجهل ما لم يعلموه؛ فقالوا ﴿سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]؛ فحينئذ أظهر لهم فضل آدم بما خصه به من العلم؛ فقال ﴿يَكَادُمْ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾؛ أقروا له بالفضل.

ثالثاً: أنه سبحانه لما أن عرفهم فضل آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ بالعلم، وعجزهم عن معرفة ما علمه؛ قال لهم: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾؛ فعرفهم سبحانه نفسه بالعلم، وأنه أحاط علماً بظواهرهم وبواطنهم، وبغيب السموات والأرض؛ فتعرّف إليهم بصفة العلم، وعرفهم فضل نبيه وكليمه بالعلم، وعجزهم عما آتاه آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ من العلم، وكفى بهذا شرفاً للعلم.

رابعاً: أنه سبحانه جعل في آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ من صفات الكمال ما كان به أفضل من غيره من المخلوقات، وأراد سبحانه أن يظهر لملائكته فضله وشرفه؛ فأظهر لهم أحسن ما فيه وهو علمه؛ فدل على أن العلم أشرف ما في الإنسان وأن فضله وشرفه؛ إنما هو بالعلم^(١).

(١) مفتاح دار السعادة، لابن القيم، (١/٥٢-٥٣).

المطلب الرابع: المقصد الثالث: تحذير علماء الأمة من أن تصرفهم

أعراض الدنيا عن اتباع الحق كما حدث من علماء بني إسرائيل الآيات

[٤٠ - ١٧٧]

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما أقام سبحانه دلائل التوحيد والنبوة والمعاد أولاً، وعقبها بذكر الإنعامات العامة داعياً الناس عامة؛ شرع سبحانه يخص العلماء من بني إسرائيل بالخطاب؛ لاتباع محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما جاء به من علم وهدى.

أثر اسم الله جَلَّ جَلَالُهُ العليم في الآيات:

١ - قال تعالى: ﴿يَبْقَى إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ ﴿٤٠﴾

وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَابَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَأَنْقُونَ ﴿٤١﴾

[البقرة: ٤٠-٤١].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَابَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَأَنْقُونَ ﴿٤١﴾﴾ [البقرة: ٤١]، الخطاب وإن كان لبني إسرائيل

غير أن خطابات القرآن وقصصه المتعلقة بالأمة الأخرى؛ إنها يقصد منها الاعتبار والاعتاظ؛ فنحن محذرون من مثل ما وقعوا فيه بطريق الأولى؛ لأننا أولى بالكلمات النفسية... فعلمنا أننا منهيون على أن يأتوا بما نُهي عنه بنو إسرائيل من الصدف-يعرضون عن الحق إعراضاً شديداً- عن الحق لأعراض الدنيا، وكذلك كانت سيرة السلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ^(١).

حض علماء الأمة من هذه الآيات:

الحذر من أن تصرفهم أعراض الدنيا عن اتباع الحق والدعوة إليه.

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (١/٤٦٦).

قال شيخ الإسلام - رَحْمَةُ اللَّهِ - لما ذكر الآيات من قوله ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥] إلى قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]. فإن الله ذم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، وهو متناول لمن حمل الكتاب والسنة، على ما أصله من البدع الباطلة، وذم الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، وهو متناول لمن ترك سر تدبر القرآن ولم يعلم إلا مجرد تلاوة حروفه، ومتناول لمن كتب كتاباً بيده، مخالفاً لكتاب الله؛ لينال به دنيا، وقال: إنه من عند الله،... ومتناول لمن كتم ما عنده من الكتاب والسنة؛ لئلا يحتج به مخالفه في الحق الذي يقوله^(١).

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١].

حق التلاوة هو العلم بما في المتلو؛ فيحلون حلاله، ويحرمون حرامه، ويعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، وهؤلاء هم السعداء من أهل الكتاب، الذين عرفوا نعمة الله وشكروها، وآمنوا بكل الرسل، ولم يفرقوا بين أحد منهم.

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨]، لما كان المسلم مضطراً إلى العلم قال: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أي: علمناها على وجه الإراءة والمشاهدة؛ ليكون أبلغ، وفي ذلك ظهور لشرف عمل الحج حيث كان متلقياً عن الله بلا واسطة.

لما طلب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ما هو له في منصب النبوة من تعليم الله له المناسك بغير واسطة؛ طلب لذريته مثل ذلك بواسطة من جرت العادة به لأمثاله؛ فقال: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

(١) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، (١/٧٨).

ولما كان ظاهر دعوة ابراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أن البعث في الأمة المسلمة كانوا إلى تعليم ما ذكر أحوج منهم إلى التزكية؛ فأخَّرَ قوله: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي يطهر قلوبهم بما أوتي من دقائق الحكمة، فترتقي بصفائها، ولطفها من ذروة الدين إلى محل يؤمن عليها فيه أن ترتد على أدبارها وتحرف كتابها كما فعل من تقدمها. ولأن سياق السورة في العلم وفضله، وفضل أهله.

وفي قوله تعالى ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فيه: إظهار عظيم لشرف العلم وطهارة الأخلاق، وأن ذلك لا ينال إلا بمجاهدات لا يطيقها البشر ولا تدرك أصلاً إلا بجهد تطهره العزة، وترتيب أبرمته الحكمة. وفي الآية إشارة إلى أنه يكبت أعداء الرسل وورثتهم من أهل العلم؛ وإن زاد عَدَهُمْ، وعَظُمَ جَدَهُمْ.

قوله: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، فيه: تعليم الباري عباده، كيف يقولون، ورحمته وإحسانه عليهم بالنعمة الدينية المتصلة بسعادة الدنيا والآخرة. قوله: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ [البقرة: ١٣٩] فيه: إرشاد لطيف لطريق الحاجة، وأن الأمور مبنية على الجمع بين المتماثلين، والفرق بين المختلفين.

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتَهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢]، فيه: توطين نفوس أهل الإسلام وإكرامهم بتعليم الجواب قبل الحاجة؛ ليكون أقطع للخصم، وأكسر لشوكته، وأردّ لشغبه.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فيه: أن الله وهب هذه الأمة من العلم والحلم، والعدل والإحسان، ما لم يهبه لأمة سواهم؛ فلذلك كانوا "أُمَّةً وَسَطًا".

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

[البقرة: ١٤٦]، فيه أن العالم، عليه إظهار الحق، وتبينه وتزيينه، بكل ما يقدر عليه من عبارة

وبرهان، ومثال، وغير ذلك، وإبطال الباطل وتمييزه عن الحق، وتشيينه، وتقيحه للنفوس، بكل طريق مؤد لذلك؛ فهؤلاء الكاتمون، عكسوا الأمر؛ فانعكست أحوالهم.

قال تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٥١]

قوله تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ فيه: أن كل علم أو عمل نالته هذه الأمة؛ فعلى يده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبسببه كان.

قال تعالى: ﴿ فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

قوله تعالى: ﴿ وَاشْكُرُوا لِي ﴾، فيه: ينبغي لمن وفقوا لعلم أو عمل، أن يشكروا الله على ذلك؛ ليزيدهم من فضله، وليندفع عنهم الإعجاب؛ فيشتغلوا بالشكر.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرَوَةَ مِنْ سَعَابِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٥٨].

قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾، فيه: أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِلْمُ بمن يستحق الثواب الكامل، بحسب نيته وإيمانه وتقواه، ممن ليس كذلك، عليم بأعمال العباد، فلا يضيعها، بل يجدونها أوفر ما كانت، على حسب نياتهم التي اطلع عليها العليم الحكيم. وفيه تحذير من مداخل الرياء والسمعة في إجزال النفقات؛ لما يغلب على النفس من التباهي في إظهار الخير.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٩].

هذه الآية وإن كانت نازلة في أهل الكتاب، وما كتموا من شأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفاته؛ فإن حكمها عام لكل من اتصف بكتمان ما أنزل الله.

وكما أن معلم الناس الخير، يصلي الله عليه وملائكته، حتى الحوت في جوف الماء^(١)؛ لسعيه

(١) عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الحُوتَ فِي البَحْرِ لِيُصَلُّوا عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرِ»، المعجم الكبير، للطبراني، (١٨٣٧)، قال الألباني: "صحيح"، صحيح الترغيب والترهيب، (ص ٧٨).

في مصلحة الخلق، وإصلاح أديانهم، وقربهم من رحمة الله؛ فجوزى من جنس عمله؛ فالكاتم لما أنزل الله، مضاد لأمر الله، مشاق لله، يبين الله الآيات للناس ويوضحها، وهذا يسعى في طمسها وإخفائها؛ فهذا عليه هذا الوعيد الشديد.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، الحكمة منه: الإرشاد إلى الاعتبار بما في خلقه من أثر الصنعة الدالة على الوحدانية؛ ليكونوا علماء متقادين لروح العلم لا لسلطان القهر، فيكون ذلك من مزاياهم على غيرهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩].

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾: يدخل فيه:

القول على الله بلا علم، في شرعه وقدره، فمن وصف الله بغير ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، أو نفى عنه ما أثبتته لنفسه، أو أثبت له ما نفاه عن نفسه؛ فقد قال على الله بلا علم.

ومن زعم أن الله ندًا، وأوثانًا، تقرب من عبدها من الله، فقد قال على الله تعالى بلا علم.

- ومن قال: إن الله أحل كذا، أو حرم كذا، أو أمر بكذا، أو نهى عن كذا بغير بصيرة؛ فقد قال على الله بلا علم.

- ومن قال: الله خلق هذا الصنف من المخلوقات، للعلّة الفلانية بلا برهان له بذلك؛ فقد قال على الله بلا علم.

- ومن أعظم القول على الله بلا علم، أن يتأول المتأول كلامه، أو كلام رسوله على معاني اصطلاح عليها طائفة من طوائف الضلال ثم يقول: إن الله أرادها.

٢- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِءَ مِمَّا قَلِيلًا أَوْلَتْكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي

بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٤]

فيه: الوعيد للكاتبين لما أنزل الله، المؤثرين عليه عرض الدنيا بالعذاب والسخط، وأن الله لا يطهرهم بالتوفيق، ولا بالمغفرة.

والمراد بالخطاب أحبار اليهود ورهبان النصارى الذين كتموا أمر محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ "لئلا تذهب رياستهم، وما كانوا يأخذونه من العرب من الهدايا والتحف على تعظيمهم إياهم؛ فخشوا - لعنهم الله - إن أظهروا ذلك أن يتبعه الناس ويتركوهم؛ فكتموا ذلك إبقاء على ما كان يحصل لهم من ذلك، وهو نزر يسير؛ فباعوا أنفسهم بذلك، واعتاضوا عن الهدى واتباع الحق وتصديق الرسول والإيمان بما جاء عن الله بذلك النزر اليسير؛ فخابوا وخسروا في الدنيا والآخرة"^(١).

وتتناول الآية كل من كتم علماً من دين الله؛ يحتاج إلى بثه^(٢).

وهذا المعنى مُفسَّر في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ عَلِمَهُ ثُمَّ كَتَمَهُ أُجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»^(٣).

فالعالم يجرم عليه أن يكتم من علمه ما فيه هدى للناس؛ لأن كتم الهدى إيقاع في الضلالة سواء في ذلك العلم الذي بلغ إليه بطريق الخبر كالقرآن والسنة الصحيحة، والعلم الذي يحصل عن نظر كالأجتهادات إذا بلغت مبلغ غلبة الظن بأن فيها خيراً للمسلمين، ويجرم عليه بطريق القياس الذي تومئ إليه العلة أن يبث في الناس ما يوقعهم في أوهام بأن يلقتها وهو لا يحسن تنزيلها ولا تأويلها، فقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَدَّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتَّجِبُونَ أَنْ يُكَذَّبَ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ»^(٤)، وكذلك كل ما يعلم أن الناس لا يحسنون وضعه^(٥).

(١) تفسير ابن كثير، (١/٤٨٣).

(٢) المحرر الوجيز، لابن عطية، (١/٢٣١).

(٣) سنن الترمذي، باب ما جاء في كتمان العلم، (٢٦٤٩)، قال الألباني: "صحيح"، مشكاة المصابيح، (ص ٢٢٣).

(٤) صحيح البخاري، باب من خص بالعلم قوما دون قوم، كراهية أن لا يفهموا (١٢٧).

(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢/٦٩).

المطلب الخامس: المقصد الرابع: الترغيب والترهيب للامتثال للأحكام المُصلحة لأُمور الدين والدنيا [١٧٨-٢٨٣]

في هذا المقصد شرع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي بَيَان صِنْفٍ مِنَ التَّشْرِيعِ لِأَحْكَامِ ذَاتِ بَالٍ فِي صَلَاحِ المَجْتَمَعِ الإِسْلَامِيِّ، وَاسْتِتَابَ نِظَامَهُ وَأَمْنَهُ، وَالتِّي بُنِيَتْ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ المَطْلُوقِ. وَقَدْ عَقِبَ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ بِالتَّقْوَى وَأَهْلِهَا؛ لِأَنَّهُمْ هُمُ النَّاهِضُونَ بِالأَحْكَامِ المُمَثِّلُونَ لَهَا؛ وَأَنَّهُمْ قَدْ انْتَفَعُوا بِهَا جَاءَ فِي الكِتَابِ الهَادِي مِنَ تَرْبِيَةِ القُلُوبِ عَلَى الخَوْفِ مِنَ اللَّهِ، وَالرَّجَاءِ فِي رِضَاهِ.

المناسبة لما قبلها:

وَمَا بَيَّنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَا يُخْرِجُ عَنِ الصِّرَاطِ المَسْتَقِيمِ وَحُدِّرُوا مِنْهُ؛ لِيَجْتَنِبُوهُ؛ عَقِبَهُ بِمَا يَلْزِمُهُمْ لِيَعْمَلُوهُ؛ فَابْتَدَأَ مِنْ هُنَا بِذِكْرِ الأَحْكَامِ، وَابْتَدَأَهَا بِأَحْكَامِ القِصَاصِ؛ لِأَنَّ أَعْظَمَ شَيْءٍ مِنَ اخْتِلَالِ الأَحْوَالِ اخْتِلَالُ حِفْظِ نَفُوسِ الأُمَّةِ.

آثار اسم الله جَلَّ جَلَالُهُ العَلِيمِ فِي الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ:

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَابْتِغَاءً بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءً إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ مِّنْ عِنْدِي بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿البقرة: ١٧٨-١٧٩﴾.

بين تعالى حكمته العظيمة في مشروعية القصاص؛ فقال: ﴿وَلكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ أي: تنحقر بذلك الدماء، وتنقمع به الأشقياء؛ لأن من عرف أنه مقتول إذا قتل، لا يكاد يصدر منه القتل، وإذا روي القاتل مقتولا اندعر بذلك غيره وانزجر.

ولما كان هذا الحكم، لا يعرف حقيقته، إلا أهل العقول الكاملة والألباب الثقيلة؛ خصهم

بالخطاب دون غيرهم؛ وهذا يدل على أن الله تعالى، يجب من عباده، أن يعملوا أفكارهم وعقولهم، في تدبر ما في أحكامه، من الحكم والمصالح الدالة على كماله، وكمال حكمته وحمده، وعدله ورحمته الواسعة وأن من كان بهذه المثابة؛ فقد استحق المدح بأنه من ذوي الألباب الذين وجه إليهم الخطاب، وناداهم رب الأرباب، وكفى بذلك فضلا، وشرفا؛ لقوم يعقلون.

٢- قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ١٨٠

حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ١٨١ ﴾ فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٨٢ ﴾ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ

جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٨٠-١٨٢].

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ يسمع سائر الأصوات، ومنه سماعه لمقالة الموصي ووصيته؛ فينبغي له أن

يراقب من يسمعه ويراه، وألا يجور في وصيته. ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيته، وعليه بعمل الموصي إليه، فإذا اجتهد الموصي، وعلم الله من نيته ذلك؛ أثابه ولو أخطأ، وفيه، التحذير للموصي إليه من التبديل؛ فإن الله عليم به، مطلع على فعله، فليحذر من الله.

ففي هاتين الصفتين تهديد ووعيد للمبدلين؛ فلا يخفى عليه تعالى شيء؛ فهو يجازيهم

على تبديلهم شر الجزاء.

٣- قوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

١٨٣ ﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ

طَعَامٍ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ١٨٤ ﴾ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي

أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ

كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا

الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٨٥ ﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ

أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ١٨٦ ﴾ أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ

الرَّفَتْ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لِهِنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ

وَعَفَا عَنْكُمْ فَإِنَّ تَبَشُرُهُمْ وَابْتِعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿البقرة: ١٨٣-١٨٧﴾.

أي: عَلِمَ اللهُ أنكم كنتم تخونون أنفسكم بفعل ما نهاكم عنه؛ فرحمكم وتاب عليكم، وخفف عنكم، فالآن جامعوهن، واطلبوا ما قدر الله لكم من الذرية، وكلوا واشربوا في الليل كله.... تلك الأحكام المذكورة هي حدود الله بين الحلال والحرام؛ فلا تقربوها أبداً؛ فإن من اقترب من حدود الله يوشك أن يقع في الحرام، وبمثل هذا البيان الواضح الجلي لتلك الأحكام يبين الله آياته للناس لعلهم يتقونه بفعل ما أمر وترك ما نهى^(١).

٤- قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، حال مؤكدة؛ لأن المدلي بالأموال للحكام ليأكل أموال الناس عالم لا محالة بصنعه، فالمراد من هذه الحال تشنيع الأمر وتفظيحه إعلاناً بأن أكل المال بهذه الكيفية هو من الذين أكلوا أموال الناس عن علم وعمد فجرمه أشد.

٥- قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِئُ لِلنَّاسِ وَالْحَيِّجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩].

قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ فيه: أن المتعلم والمعلم، ينبغي أن يسلك أقرب طريق وأسهله، يحصل به مقصوده. وقوله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾؛ افتتاح الكلام بكلمة اعلم إيذان بالاهتمام بما سيقوله، وفيه أن أهل التقوى بمحل عنايته، وأنه تعالى مع الذين اتقوا بالنصر والتأييد في الدنيا والآخرة.

وقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ أي: لمن عصاه، وهذا هو الموجب للتقوى؛ فإن

(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم، لمجموعة من العلماء، (ص ٢٩).

من خاف عقاب الله؛ انكف عما يوجب العقاب.

وافتح بقوله: ﴿وَأَعْلَمُوا﴾؛ اهتماماً بالخبر فلم يقتصر بأن يقال: واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب فإنه لو اقتصر عليه لحصل العلم المطلوب؛ لأن العلم يحصل من الخبر، لكن لما أريد تحقيق الخبر؛ افتتح بالأمر بالعلم، لأنه في معنى تحقيق الخبر^(١).

٦- قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَتَكَرَّوْا فَيَايَتِ خَيْرِ الزَّادِ النَّقْوَى وَأَتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].
قوله تعالى: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ :

اتفق العلماء على أن مدارس العلم والمناظرة فيه ليست من الجدال المنهي عنه، واتفقوا على أن المجادلة في إنكار المنكر وإقامة حدود الدين ليست من المنهي عنه؛ فالمنهي عنه هو ما يجر إلى المغاضبة والمشاتمة وينافي حرمة الحج. وهذا من فضل العلم وأهله.

ولما نهاهم عن إتيان القبيح قولاً وفعلاً؛ حثهم على فعل الجميل، وأخبرهم أنه عالم به، وسيجزئهم عليه أوفر الجزاء يوم القيامة؛ فقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ﴾ يتضمن غاية الحث على أفعال الخير، خصوصاً في تلك البقاع الشريفة والحرمات المنيفة؛ فإنه ينبغي تدارك ما أمكن تداركه فيها، من صلاة، وصيام، وصدقة، وطواف، وإحسان قولي، وفعلي.

٧- قال تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾؛ فمجازيكم بأعمالكم؛ فالعلم بالجزاء، من أعظم الدواعي لتقوى الله؛ فلهذا حث تعالى على العلم بذلك.

٨- قوله تعالى: ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨-٢٠٩]. فيه إشارة إلى أنهم يجب عليهم تفويض العلم إلى الله الذي أوحى إلى

(١) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢/٢١١).

رسوله بإبرام الصلح مع المشركين؛ لأنه ما أوحاه الله إلا لمصلحة، وليس ذلك بوهن للمسلمين؛ لأن الله عزيز لا يهن لأحد، ولأنه حكيم يضع الأمور في مواضعها، ويختار للمسلمين ما فيه نصر دينه، وقد رأيتم البيئات الدالة على عناية الله برسوله، وأنه لا يخزيه ولا يضيع أمره، ومن تلك البيئات ما شاهدوه من النصر يوم بدر.

٩- قوله تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ نَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢١٣].

ولما كان العالم يقبح منه مخالفة العلم مطلقاً لا بقيد كونه من معلم مخصوص بني للمفعول ﴿ أُوتُوهُ ﴾ أي فبدلوا نعمة الله بأن أوقعوا الخلاف فيما أنزل لرفع الخلاف، ففي هذا غاية التعجيب وإظهار القدرة الباهرة التي حملتهم على ذلك^(١).

١٠- قال تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ

السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٥].

المقصود من قوله: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ الكناية عن الجزاء عليه؛ لأن العليم القدير إذا امثل أحد لأمره؛ لا يحول بينه وبين جزائه عليه حائل^(٢).

وختم بالعلم؛ لأجل دخول الخلل على النيات في الإنفاق؛ لأنه من أشد شيء تنباهى به النفس؛ فيكاد لا يسلم لها منه إلا ما لا تعلمه شهاها التي هي التفاتها وتباهيها ويختص بيمينها التي هي صدقها وإخلاصها.

١١- قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا

شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

والمقصود من هذا تعليم المسلمين تلقي أمر الله تعالى باعتقاد أنه الصلاح والخير، وأن

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٣/ ٢٠٠).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢/ ٣١٨).

ما لم تبين لنا صفته من الأفعال المكلف بها؛ نوقن بأن فيه صفة مناسبة لحكم الشرع فيه؛ فنطلبها بقدر الإمكان عسى أن ندرکها؛ لنفرع عليها ونقيس، ويدخل تحت هذا مسائل مسالك العلة؛ لأن الله تعالى لا يجري أمره ونهيه إلا على وفق علمه.

والله يعلم ما هو خير لكم، مما هو شر لكم، فلا تکرهوا ما كتبت عليكم من جهاد عدوكم، وقاتل من أمرتكم بقتاله؛ فإني أعلم أن قتالكم إياهم، هو خير لكم في عاجلكم ومعادكم، وترككم قتالهم شر لكم، وأنتم لا تعلمون من ذلك ما أعلم، يحضهم جل ذكره بذلك على جهاد أعدائه، ويرغبهم في قتال من كفر به.

١٢- قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

لما بين تعالى البيان الشافي، وأطلع العباد على أسرار شرعه؛ قال: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾ أي: الدالات على الحق، المحصلات للعلم النافع والفرقان.

١٣- قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَاطَبُوا عَنْهُ فَأَخُونَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ ، وعد ووعيد؛ لأن المقصود من الإخبار بعلم الله الإخبار بترتب آثار العلم عليه، وهو المجازة بالثواب لمن أصلح، والعقاب لمن أفسد.

١٤- قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى تُؤْمِنَ وَلَا أُمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١].

قوله تعالى: ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: أحكامه وحكمها؛ فيوجب لهم ذلك التذكر لما نسوه، وعلم ما جهلوه، والامتنال لما ضيعوه.

١٥- قال تعالى: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتُمْ وَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ مُلْكُهُمْ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

قوله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوَةٌ﴾ يجمع الترغيب والتحذير، أي فلاقوه بما يرضى به عنكم، واحذروا أن تلاقوه بما يسخطه عليكم.

١٦ - قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٤].

قوله: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ تذييل، والمراد منه العلم بالأقوال والنيات، والمقصود لازمه، وهو الوعد على الامتثال، على جميع التقادير، والعذر في الحث على التقدير الأول، والتحذير من الحلف على التقدير الثاني.

١٧ - قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن نِّسَابِهِمْ تَرِيسٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ أَفَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٦-٢٢٧].

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فيه وعيد وتهديد، لمن يحلف هذا الحلف، ويقصد بذلك المضارة والمشاقة.

وقال الزمخشري - رَحِمَهُ اللَّهُ -: "فإن قلت ما تقول في قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾؟ وعزمهم الطلاق مما لا يعلم ولا يسمع؟

قلت: الغالب أن العازم للطلاق، وترك الفيئة والفرار لا يخلو من مقارنة ودمدمة، ولا بد من أن يُحَدِّث نفسه ويناجيها بذلك، وذلك حديث لا يسمعه إلا الله، كما يسمع وسوسة الشيطان.

وفيه تهديد بما يقع في الأنفس والبواطن من المضارة والمضاجرة بين الأزواج في أمور لا تأخذها الأحكام ولا يمكن أن يصل إلى علمها الحكام؛ فجعلهم أمناء على أنفسهم فيما بطن وظهر"^(١).

(١) الكشاف، للزمخشري، (١/ ٢٧٠).

١٨ - قال تعالى: ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ۗ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٣٠]

قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ؛ لأنهم المتفعلون بها، النافعون لغيرهم.

وفي هذا من فضيلة أهل العلم، ما لا يخفى؛ لأن الله تعالى جعل تبيينه لحدوده خاصاً بهم، وأنهم المقصودون بذلك. وفيه أن الله تعالى يحب من عباده، معرفة حدود ما أنزل على رسوله والتفقه بها، وأنه سبحانه وتعالى يكشف اللبس لهم عنها بتنوير القلب بشرطين:

١ - إذا علم منهم نهضة وجد في الاجتهاد وقيام.

٢ - وأنهم يجددون النظر والتأمل بغاية الاجتهاد في كل وقت.

فبذلك يعطيهم الله ملكة؛ يميزون بها ما يلبس على غيرهم.

١٩ - قال تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنْفَقْنَ آجُلَهُنَّ فَامْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتِدُوا ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۚ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٣١]

قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

أي: واعلموا أيها الناس أن ربكم الذي حد لكم هذه الحدود، وشرع لكم هذه الشرائع، وفرض عليكم هذه الفرائض، في كتابه وفي تنزيله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بكل ما أنتم عاملوه من خير وشر، وحسن وسيئ، وطاعة ومعصية، عالم لا يخفى عليه من ظاهر ذلك وخفيه وسره وجهره، شيء، وهو مجازيكم بالإحسان إحساناً، وبالسيئ سيئاً، إلا أن يعفو ويصفح؛ فاحذروا أن تتعرضوا لعقابه، وتظلموا أنفسكم.

٢٠ - قال تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنْفَقْنَ آجُلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضُوا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَلِكَُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٣٢]

يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَلِكَُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٣٢]

قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

فامتثلوا أمر من هو عالم بمصالحكم، مريد لها، قادر عليها، ميسر لها من الوجه الذي تعرفون وغيره.

٢١- قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْعِمَ ۗ وَالرَّضَاعَةُ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۗ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَالِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ ۗ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا الْأَوْلَادَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَالنَّقْوَاءُ لِلَّهِ وَعَالَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾؛ فمجازيكم على ذلك بالخير والشر.

٢٢- قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُم وَيَدْرُونَ أَرْوَجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَا فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٤]، أي: عالم بأعمالكم، ظاهرها وباطنها، جليلها وخفيها؛ فمجازيكم عليها.

٢٣- قوله تعالى: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرَمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِنْدَبَ أَجَلُهُ ۗ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۗ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

ولما كان الله سبحانه وتعالى بهذه الأمة عناية عظيمة في التخفيف عنها؛ أعلمها بذلك بقوله على سبيل التعليل: ﴿عَلِمَ اللَّهُ﴾ أي بما له من صفات الكمال ﴿أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ أي في العدة؛ فأذن لكم في ذلك على ما حد لكم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: فانووا الخير، ولا تنووا الشر، خوفا من عقابه ورجاء لثوابه.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمن صدرت منه الذنوب؛ فتاب منها، ورجع إلى ربه ﴿حَلِيمٌ﴾ حيث

لم يعاجل العصاة على معاصيهم مع قدرته عليهم.

ولما أباح سبحانه وتعالى التعريض، وحظر عزم العقدة، وغلظ الأمر بتعليقه بالكتاب، وبقي بين الطرفين أمور كانت الشهوة في مثلها غالبية والهوى مميلاً؛ غلظ سبحانه وتعالى الزواج؛ لتقاوم تلك الدواعي، فتولى تلك الأمور تهديد، قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا﴾ أي أيها الراغبون في شيء من ذلك ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ وله جميع الكمال ﴿يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ كله ﴿فَأَحْذَرُوهُ﴾ ولا تعزموا على شر؛ فإنه يلزم من إحاطة العلم إحاطة القدرة.

ولما هددهم بعلمه وكان ذلك النهاية في التهديد وكان كل أحد يعلم من نفسه في النقائص ما يجلب عن الوصف أخبرهم بما أوجب الإمهال على ذلك من منه بغفرانه وحلمه حثاً على التوبة وإقامة بين الرجاء والهيبة فقال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ﴾ أي كما اقتضى جلاله العقوبة اقتضى جماله العفو فهو لذلك ﴿عَفُورٌ﴾ أي ستور لذنوب الخطائين إن تابوا ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعاجل أحد العقوبة فبادروا بالتوبة رجاء غفرانه ولا تغتروا بإمهاله فإن غضب الحليم لكونه بعد طول الأناة لا يطاق.

مقتضى عبودية العبد من هذه الآية:

- وجوب خشية الله، والتوكل عليه، وتفويض الأمر إليه: "حيث توعددهم الله على ما يقع في ضمائرهم من أمور النساء، وأرشدتهم إلى إضمار الخير دون الشر"^(١)، "فانووا الخير، ولا تنووا الشر، خوفاً من عقابه، ورجاء لثوابه"^(٢).
- وجوب إفراده سبحانه بالتشريع وسن الأحكام؛ "لأن من يتولى وضع المناهج والشرائع لا بد أن يكون كامل العلم بمن يشرع له، وبما ينفعه ويصلحه"^(٣).

(١) تفسير ابن كثير، (١/٦٤١).

(٢) تفسير السعدي، (ص ١٠٥).

(٣) تفسير ابن كثير، (١/٣٧٥).

٢٤- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمْوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ

أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الزَّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿﴾

[البقرة: ٢٣٧]

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿﴾ [البقرة: ٢٣٧].

تعليل للترغيب في عدم إهمال الفضل، وتعريض بأن في العفو مرضاة الله تعالى، فهو

يرى ذلك منا فيجازي عليه^(١) المحسنين بالفضل والكرم.

٢٥- قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فِرْجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا

تَعْلَمُونَ ﴿﴾ [البقرة: ٢٣٩]

قوله تعالى: ﴿فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿﴾ [البقرة: ٢٣٩].

الإكثار من ذكر الله؛ شكراً له على نعمة التعليم؛ لما فيه سعادة العبد.

وفي الآية الكريمة: فضيلة العلم، وأن على من علمه الله ما لم يكن يعلم الإكثار من ذكر

الله. وفيه الإشعار أيضاً بأن الإكثار من ذكره سبب لتعليم علوم أخرى؛ لأن الشكر مقرون

بالمزيد.

وبين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ هذه الأحكام التي تقدمت في هذه السورة المفصلة ببدائع الأسرار من

الأصول، ودقائق العلوم كلها تعلمها المؤمنون على يد النبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢٦- قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿﴾ [البقرة: ٢٤٢].

فلما بين تعالى هذه الأحكام الجليلة بين الزوجين؛ أثنى على أحكامه، وعلى بيانه لها

وتوضيحه، وموافقته للعقول السليمة، وأن القصد من بيانه لعباده؛ أن يعقلوا عنه ما بينه،

فيعقلونها حفظاً، وفهما وعملاً بها؛ فإن ذلك من تمام عقلها.

٢٧- قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿﴾ [البقرة: ٢٤٤]

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢/٥٦٤).

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: افتتاح الجملة بقوله: واعلموا؛ للتنبيه على ما تحتوي عليه من معنى صريح وتعريض. وفيه: حث على القتال، وتحذير من تركه؛ بتذكيرهم بإحاطة علم الله تعالى بجميع المعلومات: ظاهرها وباطنها. وقدم وصف سميع، وهو أخص من عليم؛ اهتماماً به هنا؛ لأن معظم أحوال القتال في سبيل الله من الأمور المسموعة، مثل جلبه الجيش، وقعة السلاح، وصهيل الخيل. ثم ذكر وصف عليم؛ لأنه يعم العلم بجميع المعلومات، وفيها ما هو من حديث النفس مثل خلق الخوف، وتسويل النفس القعود عن القتال، وفي هذا تعريض بالوعد والوعيد.

أثر اسم الله ﴿الْعَلِيمُ﴾ في الأحكام الشرعية المتعلقة بالإنفاق:

١ - قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ

حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

قوله: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾؛ فإنه يعني بذلك: والله واسع بفضله؛ فينعم به على من أحب، ويريد به من يشاء ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو أهل للملكه الذي يؤتیه، وفضله الذي يعطيه، فيعطيه ذلك لعلمه به، وبأنه لما أعطاه أهل، إما للإصلاح به، وإما لأن يتنفع هو به^(١). وقد ختم الآية باسمين من أسمائه الحسنی مطابقين لسياقها، وهما الواسع والعليم، فلا يستبعد العبد هذه المضاعفة ولا يضيق عنها عطنه^(٢)، فإن المضاعف واسع العطاء، واسع الغنى، واسع الفضل، ومع ذلك فلا يظن أن سعة عطائه تقتضي حصولها لكل منفق، فإنه عليم بمن تصلح له هذه المضاعفة وهو أهل لها، ومن لا يستحقها ولا هو أهل لها، فإن كرمه وفضله تعالى لا يناقض حكمته، بل يضع فضله موضعه لسعته ورحمته، ويمنعه من ليس من أهله بحكمته وعلمه^(٣).

(١) الطبري، جامع البيان، (٢/٦٢٠). (دار الكتب العلمية - بيروت).

(٢) العطنُّ للإبل كالوطن للناس، وقد غلب على مبركها حول الحوض، ورجل رَحْبُ العطنِّ أي رحب الذراع، كثير المال،

واسع الرحل. انظر: ابن منظور، لسان العرب، (١٣/٢٨٦، ٢٨٧).

(٣) أسماء الله الحسنی، للزجاج، (ص ٣٠٠).

ومن نماذج من يضاعف له: "المنفقين في إعلاء شأن الحق، وتربية الأمم على آداب الدين وفضائله التي تسوقهم إلى سعادة المعاش والمعاد، حتى إذا ما ظهرت آثار نفقاتهم النافعة في قوة ملكهم، وسعة انتشار دينهم، وسعادة أفراد أمتهم؛ عاد عليهم من بركات ذلك وفوائدهم ما هو ما أنفقوا بدرجات لا يمكن حصرها^(١)."

٢- قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغِصُّوا فِيهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧] في فهو غني عن جميع المخلوقين، وهو الغني عن نفقات المنفقين، وعن طاعات الطائعين؛ وإنما أمرهم بها وحثهم عليها لنفعهم، ومحض فضله وكرمه عليهم، ومع كمال غناه وسعة عطاياه؛ فهو الحميد فيما يشرعه لعباده من الأحكام الموصلة لهم إلى دار السلام، وحميد في أفعاله التي لا تخرج عن الفضل والعدل والحكمة، وحميد الأوصاف؛ لأن أوصافه كلها محاسن وكمالات، لا يبلغ العباد كنهها، ولا يدركون وصفها.

٣- قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾: أي واسع الصفات كثير الهبات عليم بمن يستحق المضاعفة من العاملين، وعليم بمن هو أهل؛ فيوفقه لفعل الخيرات وترك المنكرات.

٤- قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

والحكمة قوة تجمع أمرين: العلم المطابق، وفعل العدل: وهو العمل على وفق العلم. والمراد به والله أعلم بمراده أن الإنسان إذا رأى الحكم والمعارف حاصلة في قلبه، ثم تأمل وتدبر وعرف أنها لم تحصل إلا بإيتاء الله تعالى وتيسيره، كان من أولي الألباب.

(١) تفسير المنار، لرشيد رضا، (٣/ ١٥).

٥- قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [البقرة: ٢٧٠]. ومضمون الإخبار بعلمه؛ يدل على الجزاء، وأن الله لا يضيع عنده مثقال ذرة، ويعلم ما صدرت عنه، من نيات صالحة، أو سيئة. وفيه: الوعد العظيم للمطيعين، والوعيد الشديد للمتمردين.

٦- قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣]. وقوله: فإن الله به عليم كناية عن الجزاء عليه؛ لأن العلم يكنى به عن أثره كثيراً، فلما كان الإنفاق مرغبا فيه من الله، وكان علم الله بذلك معروفا للمسلمين، تعين أن يكون الإخبار بأنه عليم به أنه عليم بامثال المنفق، أي فهو لا يضيع أجره إذ لا يمنعه منه مانع بعد كونه عليما به؛ لأنه قدير عليه^(١).

٧- قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ دُورُ عُسْرٍ فَفَظْرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

ولما كان كل أحد يدعي العلم ويأنف أشد أنفة من النسبة إلى الجاهل قال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي إن كنتم من ذوي العلم؛ فأنتم تعرفون صحة ما دعوتكم إليه مما يقتضي الإدبار عنه، أو الإقبال عليه، فإذا تحققت ذلك؛ فامتثلوه؛ فإنه يقبح على العالم بقبح الشيء الإصرار عليه، وإلا فبينوا أنه ليس بخير، وإلا فأنتم من أهل الاعوجاج بالجهل.

٨- قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُكُمْ بَدِينِ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاصْتَبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا

(١) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٣/ ٧٧).

شَهِدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن رَضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكُنُّوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَفْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكُنُّوهُمَا وَأَشْهَدُوا إِذَا بَيَّعْتُمْ وَلَا يَضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَلَّوْا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ [البقرة: ٢٨٢].

والقصد من الأمر بالكتابة التوثق للحقوق، وقطع أسباب الخصومات، وتنظيم معاملات الأمة، وإمكان الاطلاع على العقود الفاسدة.

ومعنى: ﴿عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ أنه يكتب ما يعتقد، ولا يجحف، أو يوارب؛ لأن الله ما علمه إلا الحق، وهو المستقر في فطرة الإنسان.

قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾:

أمر بالتقوى؛ لأنها ملاك الخير، وبها يكون ترك الفسوق. وقوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ تذكير بنعمة الإسلام، الذي أخرجهم من الجهالة إلى العلم بالشرعية، ونظام العالم، وهو أكبر العلوم وأنفعها، ووعد بدوام ذلك؛ لأنه جيء فيه بالمضارع، وفي عطفه على الأمر بالتقوى؛ إيهاء إلى أن التقوى سبب إفاضة العلوم.

واحتوت هذه الآيات، على إرشاد الباري عباده في معاملاتهم، إلى حفظ حقوقهم بالطرق النافعة والإصلاحات التي لا تقترح العقلاء أعلى ولا أكمل منها.

وختم الآية بأنه ﴿عَلِيمٌ﴾ بكل ما يعمله العباد؛ للترغيب لهم في المعاملات الحسنة، والترهيب من المعاملات غير الحسنة.

ومن الفوائد:

أنه كما أنه من العلم النافع، تعليم الأمور الدينية المتعلقة بالعبادات، فمنه أيضاً تعليم الأمور الدنيوية المتعلقة بالمعاملات؛ فإن الله تعالى، حفظ على العباد أمور دينهم ودنياهم، وكتابه العظيم فيه تبيان كل شيء.

٩- قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَةً فَإِنْ أَنِ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ، وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ، وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

وقوله: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾: تحذير من الإقدام على هذا الكتمان؛ لأن المكلف إذا علم أنه لا يعزب عن علم الله ضمير قلبه؛ كان خائفاً حذراً من مخالفة أمر الله تعالى؛ فإنه يعلم أنه تعالى يحاسبه على كل تلك الأفعال، ويجازيه عليها إن خيراً فخييراً، وإن شراً فشرّاً^(١). والآية بختمها المقصد بالعلم؛ انتظمت به معاني ما قبلها، وتهيأت به للانتظام بما بعدها من بناء كمال الملك الإلهي.

● المطلب السادس: المقصد الخامس: طمأننة الممثلين لأوامر الله ونواهيه وتحذير المخالفين [البقرة: ٢٨٤]

ولما ختم سبحانه وتعالى المقصد السابق بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾؛ أتبعه بقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾؛ ليمهّد بكمال علمه؛ لكمال ملكه؛ إخباراً منه لعباده بأنهم عبيده؛ فلا يفوته عملهم، والجزاء عليه؛ ليطمئن الممثلون لأوامره ونواهيه، وليحذر المخالفون.

(١) تفسير الرازي، (٧/ ٢٠١).

قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ

لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

وقد بين بقوله ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾؛ أنه كامل الملك والملكوت، وبين بقوله: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ أنه كامل العلم والإحاطة، ثم بين بقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، أنه كامل القدرة، مهيمن على كل الممكنات بالقهر، والقدرة، والتكوين، والإعدام، ولا كمال أعلى وأعظم من حصول الكمال في هذه الصفات، والموصوف بهذه الكمالات؛ يجب على كل عاقل أن يكون عبداً منقاداً له، خاضعاً لأوامره ونواهيه؛ محترماً عن سخطه ونواهيه^(١).

وعادة الله جَلَّ جَلَالُهُ في كتابه أن يُتبع الأحكام الشرعية بملكه لما في السموات والأرض كما في هذه الآية؛ ليبين لعباده أن الذي يُشَرِّع للحياة هو خالق الحياة؛ فيتلقوها بالامتثال، والخوف عند مخالفتها، والرجاء في رحمته وثوابه عند امتثالها.

وليبين للبشر جميعاً أن الإسلام يُعدُّ القلوب التي يُشَرِّع لها، ويهيئ المجتمع الذي يُقِنُّ له؛ صنعة إلهية متكاملة متناسقة.

فتأمل كيف ربط جَلَّ جَلَالُهُ بعلمه بين تشريعاته، وملكه، وقدرته؛ ليبين لعباده أن الخيط الناظم بين التشريع للأحكام، والتدبير للملك، والقدرة على التكوين والإعدام هو كمال علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



(١) تفسير الرازي، (٧/ ٢٠١).

الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات

الحمد لله الذي وفقني لإعداد هذا البحث، ونسأل الله القبول الحسن.

وكانت أهم النتائج والتوصيات:

- ١- القرآن الكريم عرّف العباد بآثار أسماء الله الحسنى على مستوى السورة القرآنية، وعلى مستوى القرآن كله؛ ليعبدوه.
- ٢- اسم الله عزَّجَل المكرر في السورة القرآنية؛ يُنبئ بأن آثار هذا الاسم هو الروح المهيمن على السورة.
- ٣- التناسق بين مقاصد السورة مع بعضها في عقد واحد مُبهر.
- ٤- كل سورة لها أسلوبها الخاص الشيق الذي يتناسب مع طبيعة النفس البشرية في عرض آثار الاسم المكرر.
- ٥- كل سورة وخاصة الطويلة منها تحتوي على مطالب، ومقاصد، وخاتمة، بينهم تأخ وتعاصد، وتلاحم في سورة من التناسق والتناسب مبهر.

التوصيات:

أوصي الباحثين وأقسام القرآن وعلومه بما يلي:

- ١- القيام بدراسات علمية في بيان (بناء السورة القرآنية على آثار أسماء الله المقترنة المكررة في السورة) مثل سورة الشعراء.
- ٢- القيام بدراسات علمية في بيان (بناء السورة القرآنية على أسماء افتتحت بها السورة

القرآنية وآثارها على مستوى السورة كلها) مثل سورة غافر، وسورة الجمعة.
٣- أن يتبنى أحد مراكز الدراسات القرآنية إعداد موسوعة (التفسير البنائي للقرآن الكريم
على آثار أسماء الله الحسنى).



المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
٢. الأدب المفرد، للبخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط ٣، بيروت - دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٣. اشتقاق أسماء الله، للزجاجي عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي أبو القاسم، المحقق: د. عبد الحسين المبارك، ط ٢، بيروت - مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٤. أصول الدعوة، لعبد الكريم زيدان، ط ٩، بيروت - مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٥. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، بيروت - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٦. بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، المحقق: علي بن محمد العمران، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، ط ١، مكة المكرمة - دار عالم الفوائد، ١٤٢٥هـ.
٧. بديع القرآن، لابن أبي الإصبع عبد العظيم بن الواحد بن ظافر، تحقيق: حفني محمد شرف، القاهرة - نهضة مصر.
٨. البرهان في علوم القرآن، للزركشي أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، القاهرة - دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.
٩. تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الإصبع عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون

الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي.

١٠. التحرير والتنوير = "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، لابن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، تونس - الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
١١. تفسير أبي السعود "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"، لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، بيروت - دار إحياء التراث العربي.
١٢. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، لرشيد رضا محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، القاهرة - الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
١٣. تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم أبو حاتم أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، المحقق: أسعد محمد الطيب، ط ٣، المملكة العربية السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٩هـ.
١٤. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، ط ٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
١٥. التفسير القرآني للقرآن، لعبد الكريم يونس الخطيب، القاهرة - دار الفكر العربي.
١٦. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، لمحمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي، المحقق: د. مجدي باسلوم، ط ١، بيروت - دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
١٧. التوقيف على مهمات التعاريف، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، ط ١، القاهرة - عالم الكتب، تحقيق: عبد الخالق ثروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط ١، بيروت - مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٩. جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، المحقق: أحمد محمد شاكر، ط ١، بيروت - مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٢٠. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، للبخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط ١، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ١٤٢٢هـ.
٢١. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، للقرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط ٢، القاهرة - دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
٢٢. الحق الواضح المبين في شرح توحيد الانبياء والمرسلين من الكافية الشافية، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، ط ٢، الرياض - دار ابن القيم، ١٤٠٧هـ.
٢٣. سنن ابن ماجه، لابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة - دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
٢٤. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا - بيروت، المكتبة العصرية.

٢٥. شرح حديث النزول، لابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي، ط ٥، بيروت، لبنان - المكتب الإسلامي، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
٢٦. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، بيروت، لبنان - دار المعرفة، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٢٧. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة، لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، الرياض - المملكة العربية السعودية، دار العاصمة.
٢٨. العبودية، لابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: محمد زهير الشاويش، ط ٧، بيروت - المكتب الإسلامي، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٢٩. الفوائد، لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت: ٧٥١هـ)، ادار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
٣٠. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، لسلطان العلماء أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة - مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤١٤هـ - ١٩٩١م.
٣١. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ١٤٠٧هـ، ط ٣، بيروت - دار الكتاب العربي.
٣٢. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، للكفوي أيوب بن موسى الحسيني القريني أبو البقاء الحنفي، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، بيروت - مؤسسة الرسالة.

٣٣. لسان العرب، لابن منظور محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري، ط ٣، بيروت دار صادر، ١٤١٤هـ.
٣٤. متن القصيدة النونية (الكافية الشافية)، لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، ط ٢، القاهرة - مكتبة ابن تيمية، ١٤١٧هـ.
٣٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط ١، بيروت - دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.
٣٦. مختار الصحاح، للرازي زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، المحقق: يوسف الشيخ محمد، ط ٥، بيروت - صيدا، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٣٧. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط ٣، بيروت - دار الكتاب العربي، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٣٨. المستدرک علی الصحیحین، لابن البیع أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، بيروت - دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
٣٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: أحمد محمد شاكر، ط ١، القاهرة - دار الحديث، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
٤٠. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمسلم أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت - دار إحياء التراث العربي.

٤١. مشكاة المصابيح، للتبريزي محمد بن عبد الله الخطيب العمري أبو عبد الله، ولي الدين، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، ط ٣، بيروت - المكتب الإسلامي، ١٩٨٥ م.
٤٢. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ويسمى: "المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى"، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، ط ١، الرياض - مكتبة المعارف، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
٤٣. معاني القرآن وإعرابه، للزجاج إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، ط ١، بيروت - عالم الكتب، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٤٤. معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، ط ١، عالم الكتب، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٤٥. معجم مقاييس اللغة، لابن فارس أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين، المحقق: عبدالسلام محمد هارون، بيروت - دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
٤٦. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب، بيروت - دار الكتب العلمية.
٤٧. المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد، المحقق: صفوان عدنان الداودي، ط ١، بيروت - دار القلم، ١٤١٢ هـ.
٤٨. مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، ط ٣، القاهرة - مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٤٩. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، ط ٢، بيروت - دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢ م.
٥٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، القاهرة - دار الكتاب الإسلامي.

٥١. الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، تحقيق: سيد إبراهيم، ط ٣، القاهرة - دار الحديث، ١٩٩٩ م.



مَجَلَّةُ تَعْظِيمِ الْوَحْيَيْنِ

Journal of Cherishing the Two Glorious Revelations

A scholarly, refereed periodical journal, specializing in research related
to the Glorious Qur'an and the Elevated Prophetic Sunnah

This issue's articles:

- **AL-AJWIBAH AL-JALIYYAH 'AN AL-AS'ILAH AL-KHAFIYYAH A CRITICAL EDITION OF THE SECTIONS ON SŪRAT AL-MUMTAḤANAH AND SŪRAT AL-ŞAFF 'ALĪ IBN MUḤAMMAD AL-MIŞRĪ (D. CA. 1127 AH)**

Dr. Yasser ibn 'Ubayd Allāh ibn Najm al-Aslānī

- **THE CARE OF THE MOST MERCIFUL FOR THE HEARTS OF THE PEOPLE OF FAITH IN THE QUR'AN**

Dr. Bandar ibn Sālim 'Īd al-'Azzām al-Sharārī

- **THE SUPREME METHOD IN STRUCTURING THE QUR'ANIC SŪRAH BASED ON ALLĀH'S MOST BEAUTIFUL NAMES (SŪRAT AL-BAQARAH AS A MODEL)**

Dr. Tawfiq 'Alī 'Alī Murād Zubādī

- **RATIONING FOOD WASTE IN LIGHT OF THE QUR'AN AND THE SUNNAH: A SHARĪ'AH-BASED ECONOMIC STUDY**

Dr. Ḥāmid ibn Mazyad ibn Ḥāmid al-Ḥarbī

- **PROTECTION OF WEALTH IN LIGHT OF THE QUR'AN AND THE SUNNAH: A DEVELOPMENTAL PERSPECTIVE**

Dr. Usāmah ibn 'Īd al-Ḥujaylī

- **ZAHW AL-THAMAR FĪ MUŞTALAḤ AHL AL-ATHAR (THE GLORY OF THE FRUIT IN THE TERMINOLOGY OF THE PEOPLE OF ḤADĪTH) BY SHAYKH MUḤAMMAD SA'ĪD IBN SAYYID AḤMAD AL-ḤADRAWĪ**

Dr. Badawī ibn 'Alī ibn Muḥammad al-Kinānī al-Zahrānī

- **SUPPLEMENT TO THE JOURNAL, GRADUATE STUDENTS RESEARCH: THE MEANING OF THE TERM "LĀ YU'RAF" ("NOT KNOWN") AND SIMILAR EXPRESSIONS ACCORDING TO IMĀM AL-BAZZĀR IN HIS BOOK AL-MUSNAD**

Bayān bint 'Abd Allāh Ghunaym al-Ḥarbī